ليلى بيران



مِسَّج
إلى صديقتي

رواية

الفارابي
الفارابي

مِسَّج إلى صديقتي

ليلى بيران

مِسَّج إلى صديقتي

روايـــــــة

دار الفارابي

الكتاب: مِسَّج إلى صديقتي

المؤلف: ليلى بيران

الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان

ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)

ص.ب: 3181/ 11 ـ الرمز البريدي: 2130 1107

e-mail: farabi@inco.com.lb

www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى 2007

ISBN: 9953-71-195-x

صداقة جديدة

أحلم دوماً أن يكون لي قلم باهظ أباهي به شخصاً رفض صداقتي لأنّني لم أكن من مستواه.

عندما عدت من رحلتي الأخيرة كان قد اشتدّ عليّ الألم فأجريت فحوصات عديدة فلم يتبين أي شيء فكل الأشعّة والتحاليل تظهر أن جسمي طبيعي وهكذا بدأت رحلة العذاب؛ فقد أصبحت حبيسة الفراش مع ألم دائم في الرجل اليمنى. كرهت كل الناس خاصة كل من أعرفهم، وقبل هجري للمشي كنت قد تعرفت إلى صديقة جديدة لا تعرف عني شيئاً ولا حتى اسمي؛ تعشق الشهرة والرفاهية... تعشق الأضواء والتباهي؛ أي عكسي تماماً وفجأة أصبحت مهووسة بها. كانت من بلد آخر كما أن حياتها تختلف جذرياً عن حياتي فاعتبرتها كمنفذٍ لي من السجن الذي وضعني المرض فيه.

أذكر أن البداية لم تكن جيّدة فقد كانت متعبة من

مشاكلها ولا ترغب في صداقة جديدة؛ كانت تريد رجلاً مخلصاً وفياً يساعدها في الحياة ويدلّلها، فلم أكن سأنفعها بشيء لكن شدة إلحاحي جعلتها أخيراً تتواصل معي بالمساجات أي بالرسائل القصيرة عبر الخلوي.

كانت نمرة طالبة جامعية بالسنة النّهائية أصغر منّي بخمس سنوات؛ رائعة الجمال.. كنت دوماً إذا رأيت نمراً في أحد الأفلام الوثائقية يذكرني بها لأنها بالصورة كانت تبدو وكأنها تحمل نظرة بعينيها تشبه النمر لذا قررت أن أسمِّيها نمرة.

لم تكن أمّي تقدر على توصيل العشاء إلي إلّا بعد أن يسقط منها غالباً على الدرج لأن غرفتي في الأعلى. بعد سماع سقوط الأطباق من يد أمّي المسنّة المريضة أعرف أنها ستأتي لتجلس عند حافة السرير باكيةً:

ـ لم أستطع إيصال الأكل إليك.

فأتظاهر بالضحك:

ـ هذا جيد.. فكلما انكسرت الأطباق هذه أتينا بأخرى جديدة فلمَ أنت متضايقة!!

تستمر بالبكاء وتقول:

ـ لم أتوقع أن يأتي يوم ولا أقدر أن أقدم فيه لك الأكل.

ـ لا عليك أنا بخير. . فأنا فقط لا أتحرك أما الأكل فمرّة أخرى حضّريه ودعي مريم ابنة أخي توصله؛ فالدرج متعب حتى أنا كنت سأوقعه.

تصر على أن تأتيني بأكل آخر وهي تجر قدميها.

لم أكن أقدر على سماع وقع قدميها الثقيلتين على الأرض فكيف برؤية دموعها.

يحسسني كل هذا في كل حين أنّني عاجزة؛ أنّني أختنق لكن لا أجد مفراً فأكتب مِسَّج إلى نمرة النافذة التي أطل منها على العالم:

ـ ماذا تفعلين؟

لا ترد. . أرسل مجدداً:

ـ هل أنت غاضبة؟

بعد دقائق يصلني الرد:

ـ أنا الآن بلعب رياضة.

فأعود لأقلب بين قنوات التلفزيون لعلّي أجد شيئاً نافعاً يسليني لكن لا شيء يحلو لي، فأعاود الإرسال لعلّها أكملت الرياضة:

ـ ماذا تلبسين الآن؟

لا ترد. .

ـ هل نمت؟

كنت أتضايق كثيراً إذا لم ترد على رسائلي بالرغم من علمي أنها مشغولة وأنه من غير الممكن أن يبقى اتصالنا لساعات. . . . أسمع وقع أقدام أمّي على الدرج فأحس بالأنس:

ـ ألم تنامي بعد؟

ـ كلا.

تجلس قليلاً ثم تذهب إلى مخدعها.

بعد مرور ساعة أسمعها تغادر غرفتها. تئن من الألم فأتظاهر بالنوم لقلة حيلتي على عدم القدرة في التخفيف عنها وأضغط بقوة على نفسي كي أحبس دموعي حتى لا تعرف أنّني مستيقظة وتتمكن من العودة إلى النوم. أسمعها تقترب من غرفتي ثم تقف عند الباب وهي تتأوه وجعاً. . . ثم تعود إلى الفراش فأدعو ربي أن يرحمها مما تعانيه.

كان هذا يتكرر كل ليلة فهي دوماً مريضة وكأننا لم نتطور ولم نقفز قفزة قوية في الطب مثلما يقولون فلا أحد من الأطباء استطاع أن يشخص مرضها وأن يخفّف من آلامها فكانت على تلك الحال سنين طويلة.

* * *

إستمر سجني فاستمرت بذلك اتصالاتي بنمرة التي أصبحت أعدُّها أعز صديقة لدي:

ـ أين أنت الآن؟

ـ في الخارج عندي شغل.

فأحاول أن أصبر لساعات إلى حين أن تعود إلى البيت، ولم يكن ذلك سهلاً على شخص لا يتحرك لا يميناً ولا شمالاً.

وبدأ المشكل الأكبر. لقد انتشر خبر إعاقتي وسط الأقارب، وبذلك بدأت المعاناة أكثر ففي كل يوم صباحاً ومساءً يدخل إليَّ الزائرون سائلين عن ماذا حدث وكيف أنه ليس هناك تفسير لعدم الحركة، أغلبيتهم كان يختم كلامه بالقول إن الأمر عين وعليّ بالرقية. بعد خروجهم كنت أطلب من أمّي أن لا تدخل أحداً لأنه بعد مغادرتهم أجد الألم يزداد وليس هذا ما ينقصني، كانت طبعاً تسكت وفور أن يأتي أحد تدخله فلم أكن أجد سبيلاً لإفراغ غضبي إلا أن أرسل مِسَّج إلى نمرة الوحيدة التي لن تسألني عن مرضي والتي سأحس معها أنّني طبيعية أي أنّني مازلت أقدر على المشي.

كان ذلك اليوم يسود الهدوء في البيت وأنا أسمع زقزقة العصافير من شرفة أخي فكتبت لها:

ـ أنا عندي عصافير عند النافذة.

فقالت:

ـ وأنا عندي حمام وبطعميهم كمان.

فرحت كثيراً أنها ردت لأنها لا ترد عادة إلا بعد طول عناء فقلت مبتهجة:

ـ جميل أن تتمكني من تربية الطيور فهذه العصافير لأخي وأسمعها من شرفته.. أنا لا أقدر على تربية أي شيء بالبيت لأنّني لا أقدر على تحمل مسؤوليتهم.

ـ ما بدهم تعب ولا تقومي ولا تقعدي خدي شوية قمح بإيدك وارميهم من الشباك.

ضحكت وقتها كثيراً لأنني أحسّست نفسي غبية فقد كانت تتحدّث عن حمام حرّ بالشارع وأنا اعتقدتها تربِّيه بالبيت. ثم قلت فرصة ربما هي اليوم مبسوطة سأجعلها تتحدث معي أكثر...

قالت بعدها:

ـ أنا مو مع فكرة تربية أي نوع من أنواع الحيوانات بالبيت.

ثم نختلف من جديد كالعادة على شيء أنا لم أقصده وهي فهمته أنه هجوم لها أو استفزاز.

- الكلمة المفضلة لديها - فأقضي الليل كله وأنا أوضح ما كنت أعنيه إلى أن تراضينا؛

فقلت:

ـ إذن على أي خد أضع قبلتي؟

فقالت:

ـ على خد اليمين.

ـ أي أنك تنامين على الشق الأيسر وهذا سيء فالنوم الصحيّ يكون على اليمين .

ـ بل أنا أنام على بطني.

ضحكت وقلت:

ـ هذا أسوأ.

فلم ترد.. لأنها تعلم أنني لن أتوقف.

كثيراً ما كنت أنام مبكرة وأستيقظ ليلاً فأرسل لها، فحتّى وإن لم يصلني منها ردٌّ فيكفيني الإحساس أنها موجودة.

لم تكن تبادرني أبدا بإرسال أو اتصال هاتفي فقد كنت دوماً المقبلة عليها لأنني دوماً التي بحاجة إليها. كان هناك شيئ يمنعها عني وشيئ يدفعني إليها.

في إحدى الليالي كانت الواحدة عندما سمعت وصول رسالة قصيرة فلم أشأ إلقاء نظرة، وفي الصباح تفاجأت بقراءة الرسالة. لقد كانت منها... قرأت وقرأت ثم أعدت القراءة أيُعقل أن ترسل لي نمرة مِسَّج وبعد منتصف الليل؟؟ كانت كلماتها جميلة لكن علامات الاستفهام كثيرة فكتبت أسأل:

ـ ماذا هناك؟؟

قالت:

ـ إذا لم أجب تغضبي وإذا أرسلت تقولي لِما. احترت كيف أرضيك.

ـ لم أقل لِما ولكن ماذا هناك هل أنت بخير؟

فظلت تتهرب ولم تعطني الإجابة الحقيقية إلا بعد إلحاح شديد فعلمت من إجابتها أنها من النوع الذي يرفض الاعتراف بمشاعره؛ أجابت وقتها:

ـ يا عزيزتي باختصار كنت تعبانة كتير ومن وجعي ما أجاني نوم وخطرتي ببالي فأرسلت لك وأنا أعتذر على الإزعاج.

ـ بل يمكنك الإرسال والاتصال وقتما شئت ولو فجراً.

لم تكن تعلم أن سؤالي كان يحمل قلقاً عليها وليس اعتراضاً، فلها أن ترسل ليلاً أو نهاراً ولكن كنت أريد معرفة لِما بذلك الوقت بالذات فعلمت أنها كانت مريضة. قلت جميل أن تتذكرني وقت ألمها ولكن هل حقاً ذلك جميلاً أم أنني سأصبح فيما بعد الشخص الذي لا تتذكره إلا وقت المصائب؛ أمّا إن كانت هناك أفراح فلا أخطر ببالها.

وتحدثت معها عن أمور أخرى لكنني أحتار أي موضوع يعجبها ويجعلها تسترسل معي في الحديث أو على الأقل تسمح لي بالاتصال هاتفياً لأنها لم تكن ترد إذا علمت أنّني المتصلة.

وفي إحدى الليالي أرسل مساجات تلو المساجات ولا أتلقى رداً منها، فأبحث بذاكرتي عن خلاف جديد العهد بيننا فلا أجد.

تأتي أمّي تسألني إن كان ينقصني شيئ قبل نومها فأقول:

ـ لا.

وأنا لا أعرف إن كنت حقاً بحاجة لشيء أم لا.... لما لا ترد. هكذا كنت أقول بداخلي الوقت الذي كانت أمّي تغادر فيه غرفتي. ثم استسلمت للنوم.

وبعد ساعة أيقظتني رنة وصول المِسَّج فوجدته منها:

ـ أنا كنت بالمشفى عملت حادث.

أفزعني المِسَّج:

ـ كيف أنت الآن؟

ـ شيء بسيط بيدي وقد خف الألم.

لكن لا يريحني ذلك الرد فأنا أرغب بسماع صوتها كي أطمئن فأتصل ولا ترد فماذا أفعل، قلقت كثيراً

وتمنيت لو لم تخبرني، وأحسست برغبة قوية في السفر إلى سوريا للتأكد أنها حقاً بخير، وأظنها نامت فيما بعد؛ فقد كان يومها شاقاً لكن من يريحني أنا كي أنام، ففور استيقاظي صباحاً اتصلت بها وأنا أعلم أنها بالجامعة فقالت:

ـ نعم.

ثم انقطع الخط. اعتقدت أنها من قطعته فغضبت وأرسلت مِسَّج:

ـ أنا قلقة عليك وكنت أرغب في التأكد أنك بخير، فلما قطع الخط دوماً هل صوتي منفر؟

أجابت غاضبة:

ـ صوتك مش منفر وأنت لما اتصلت أنا ما سمعت صوتك.

طريقة كلامي معها هذه زادتها استياءً مني، فقد كنت أحسّ أنّني كلما أحاول أن أصلح الأوضاع للأحسن تزداد سوءاً، فعيبي أني أتكلم بأي شيء يخطر ببالي ولا أفكر إلا بعد أن أقول؛ فكان هذا يجعل الخلافات تشتد بيننا دوماً، فتقاطعني ليومين وأنا أرسل. . .إلى اليوم الذي يصلني ردها:

ـ كل مِسَّج بيزعجني ما برد عليك لمدة يومين.

غضبت بالبداية وقررت أن لا أتصل بها فلست طفلة صغيرة تعاقب، فهي لا تعي أننا أصحاب وهناك طرق أخرى.

لم تكن نمرة تعرف عنّي أي شيء، وأذكر يوم اشتريت لأول مرة خلوياً يحمل اللغة العربية فقط لأتمكن من التواصل معها بسهولة. فقد ذهبت مع أخي أبحث في كل المحلات، وبحثت طويلاً إلى أن وجدت واحداً فقط ولم يعجبني كثيراً لكن لم يكن لدي الخيار فاشتريته. كنت وقتها قد بدأت أعرج ولا أقدر حتى على الجلوس لكنني أحسست أن الأمر يستحق كل هذا العناء. وقد حاولت أن أكون متفانية لأجلها لكن يبدو أنّني أصبحت مهووسة ولم أكن أفرِّق بين الإثنين فالهوس غير التفاني.

لم أكن أخبر أحداً عنها. أجل فقد أصبحت كلما أتضايق أحسّ برغبة في الحديث معها وكلما فرحت وكلما غضبت ففي كل تغيراتي المزاجية تخطر ببالي ولا يحلو الكلام إلا معها، ثم حدّثت أختي عنها وإحدى صديقاتي ولم أكن أرغب إلّا في ذكرها، أثناء زيارة أحد أقاربي ألتزم الصمت أو أجيبهم على قدر السؤال وأحياناً أخرى أدير وجهي مغمضة عينيّ كي لا يبقوا طويلاً معي فذلك كان يلهيني عنها وأبقى طوال اليوم أفكر كيف أرضيها وماذا تحب وماذا تلبس الآن....و....و....

بعد مدة طويلة سألتها عن الزواج وعن أمور خاصة كثيرة لم يسبق لي أن سألت عنها أحداً فقد كان الحديث معها سلساً ويجعل الإنسان يستمتع بمجالستها إلى أن سألتني:

ـ أديش عمرك؟

فاعتقدت أنا أنه ربما تقصد أن أتوقف عن الخوض في تلك المواضيع فقلت:

ـ فهمت.

قالت:

ـ والله مانك فهمانة شي عموماً حاولي تشغلي نفسك بأمور مفيدة كالكمبيوتر مثلاً.

ثم أخبرتها عن سني دون أن أتلقى رداً منها، واستمرت أسئلتي فاعتقدت أنها قاطعتني ثم بعد فترة من إحساسي بالحسرة وجدتها ترسل:

ـ كنت بالنادي.

ـ اعتقدت أنك قاطعتني.

ـ حبيبي مافي سبب يخليني أقطع صداقتي بك بالعكس أنت هلا أعز صديقة.

فرحت كثيراً يومها. قلت ربما هذا سيجعلني أطمئن أننا لن نختلف فقد تعبت من مراضاتها.

لكن ظلت الخلافات قائمة بيننا فلم أقدر على فهمها. لم يكن بإمكاني الحديث بأي شيء إلا وقالت أنت تستفزينني ولن أتواصل معك بعد الآن، فأصبحت صداقتها تتعبني لكن في نفس الوقت كنت أحسّ أنّ هناك سعادة بداخلي عندما أكتب إليها وتتزايد إذا تلقيت منها رداً فكيف إذا سمحت لي باتصال هاتفي وإن كانت المكالمة لا تتجاوز الدقيقة أو الدقيقتين تقول فيها هي فقط ما تشاء ثم تغلق الخط، كانت صداقة غريبة لكنني في محل الضعف فأنا بحاجة إليها وأرتاح لها وهذا هو المهم.

منذ صغري كنت صريحة وصادقة مع نفسي فلا أحب الأوهام، فمهما كان في حياتي أحاكي نفسي صراحة بكل صغيرة وكبيرة وتعودت على ذلك. لكن لأول مرة أهرب من أن أسأل نفسي هل صداقتي مع نمرة بهذا الشكل صحيحة، هل كل ما أتلقاه منها من هجوم وغضب، من إهانات دون سبب يستحق ذلك؟ لم أكن أقدر لأول مرة أن أصارح نفسي لأنني لم أكن أملك إجابة أخرى إلّا: لا أقدر على أن أفارقها؛ أحسها كالأكسجين أخشى أن أموت إن ابتعدت وليتني أموت وأرتاح فقد كنت أرغب في الفرار من سجن المرض وإعاقتي المبهمة تلك فوجدتني

في سجنها وأخشى أن يكون للأبد فلا أكف عن التفكير بها ليل نهار وكم أتألم إذا خاصمتني ولا أرتاح إلى أن تقول زال الغضب. يا إلّهي لقد انتقلت من مرض إلى مرض آخر ماذا عليَّ أن أفعل؟ كانت هذه الأسئلة تنهكني ولذا لم أكن أطيق مجالسة نفسي كالعادة.

كان في تلك الأيام في برنامجٍ أسبوعي عن الأعراس يعرض على قناة سوريا وكنت أشاهده فقط كي أعرف كيف هي حياتهم الاجتماعية لعل ذلك يقربني أكثر من فهم نمرة الغامضة وأظنه أفادني بأن مدّد في تواصلي معها فقد كنت في كل مرة نتخاصم، أحتار في أمري ماذا عليّ أن أجد كطريقة مختلفة نبدأ بها من جديد.

إختلفنا مجدداً فتوقفت عن الرد ليومين مثلما كانت تقول إنه عقاب فكنت أعاني الكثير من ذلك. كتبت لها طوال اليوم ثم غضبت وقلت:

ـ أنت دكتاتورية وتحبين إذلال الناس فأنت تستغلّين شدّة حاجتي وضعفي وتضعين كل مرة قوانين لا يعقل أن تكون بين الأصدقاء.

وطبعاً كما كنت أتوقع لا حياة لمن تنادي، فحدث أنه تلك الليلة كان يعرض هذا البرنامج والعروس صحافية

فكتبت أطلب منها أن تلتقط قناة سوريا لتشاهد ذلك العرس وكم أنها كانت ستكون أحلى من تلك العروس:

ـ ألست أحلى؟

تفاجأت بردّها الذي لم أتوقعه لأنها كانت غاضبة كثيراً ولم يكن قد مرّ على العقاب يومان كاملان قائلة:

ـ ليلى وحياتك أنا مش دكتاتورية ولا بحب ذل الناس صدقيني.

فتعمدت أن أعيد نفس المِسَّج:

ـ ألست أحلى؟

و أنا أقصد بذلك أنّني لا أهتم لما قالته بل فقط أن نكون متفقتين وأن تعي أنّ سفاسف الأمور لا تؤثر على معزّتها عندي فقالت:

ـ بس بعيونك.

ـ بلى.

قالت مازحة:

ـ إي لأ.

ـ أنت أحلى وسيكون عريسك أيضاً أحلى من عريسها لكن إيّاك أن تغيري من لون الفستان فالأبيض دوماً أفضل.

لأن العروس يومها في البرنامج كانت تضع على الفستان وروداً حمراء، ثم لا أذكر عن ماذا حدّثتها فوجدتها تقول:

ـ قبل كل شيء أريد أن أجد الشخص المناسب.

تمنيت وقتها لو كان بيدي أن أجد لها هذا الشخص المناسب؛ فقد كنت سأفرح لفرحها وإن كانت لا تبادلني نفس المشاعر لا أعلم لماذا.

بمرور الأيام وإلحاحي الدائم أن ترد أصبحت تكتب إليّ كتابات لا أعرف مصدرها؛ لكن لم تكن باللهجة السورية. تساءلت ألهذا الحد لا تجد ما تقوله بصحبتي فهي تنقل كتابات بلهجة خليجية على ما أظن لأنها لا تجد بداخلها أي شيء تقوله لي ولا حتى كلاماً عادياً عن حياتها فقد كانت محاطة بسور عالٍ كلما حاولت اجتيازه بالتقرب منها حاولت افتراسي بغضبها فتجعلني بذلك أبتعد مجدداً، كثيراً ما كنت أتساءل ماذا هناك تخفيه وتخشى أن أعرفه أم أنه ليس هناك أي شيء وتخشى أيضاً أن أكتشف ذلك مع أنّني كنت سأرحب بكل ما كان لديها وهي تخفيه فليست حياة البشر مثالية وأنا أعي ذلك ولكن كيف لها هي أن تعي ذلك؟!!

* * *

أتعبت أمي معي كثيراً فقد كان طبعي صعباً وغضبي يزداد كل يوم؛ كنت أطلب منها أن تغير شكل الأكواب والمناديل وأن لا ترفع صوت تلفازها وأن لا يدخل أحد إليّ إلا أخواتي وأبناؤهن مهما أصر الزائر فلست أقدر.

حبيبتي أمي تجاوزت السبعين ومازالت مجبرة على تحمل مسؤوليتي؛ توقفت عن الخروج في تلك الأشهر حتى لا تتركني وحدي؛ فكان ذلك يحزنني أكثر فلا يكفي أني سجينة بل وأسجنها معي. وطال مرضي فكنت أحياناً أستيقظ ليلاً كي أسمعها تئن وبدلاً من أن تقول يا رب اشفني تقول يا رب اشفِ لي ابنتي يا رب اشفها، تذكرت آخر مرة رافقتها في العمرة هي وخالتي وطلبت منهما الجلوس إلى حين عودتي لإحضار ماء زمزم وعندما عدت كانت تستقبل الكعبة باكية رافعة يديها قائلة:

ـ يا رب اشفِ لي ابنتي يا رب اشفها.

كان صوتها مسموعاً دون أن تشعر وكأنها ترغب في أن تصرخ أن يا رب اشفها واجعلني أراها معافاة، وأينما كنا نجلس إذا تحدثت مع أي كان أجدها تتحدث فقط عني وأنّني لا أطيب من مرضي برغم كثرة الدعاء، وأنّ ذهابنا للعمرة كان فقط للشفاء كآخر ملاذ لفاقد الأمل.

في الصباح التالي عدت للإرسال مجدداً فلم يصلني جواب من صديقتي فأحسست بالملل وزاد غضبي في سوء تعاملي مع العائلة أو حتى من يزورني؛ ألتزم الصمت وأنا أفكر أين هي وماذا تفعل وأقول لنفسي إنّها مجرد أيام لن أكون بهذا السوء لكنّني كنت بحال أسوأ من ذلك فقد كنت أنقطع حتى عن الأكلَ إلى أن وصلتني رسالتها تقول:

ـ أنا خارج الشام.

ـ أين؟

لا ترد..

ـ هل هو سر؟

لا ترد..

ـ لو كنت قد تزوجت وسافرت شهر العسل كنت سأفهم سبب هذه السرّية التامة.

لا ترد.. ثم بعد فترة تقول:

ـ لم أتزوج.

ـ إذن متى تعودين؟

ـ بعد أسبوع.

ـ وهل هذا المكان ممنوع استعمال الخلوى فيه؟

ـ ظروفي ما بتسمح.

أستمر في إرسالي وأنا أعلم أنّها لن ترد.

وفي إحدى الليالي أكتب إليها أنّني يجب أن أتصل بها هاتفياً...

أغضب كثيراً على عدم ردها بالقبول وفي الصباح أجد أنه كان قد وصلني منها ردّ متأخر كثيراً تقول فيه:

ـ أوكي.

فغضبت وأرسلت:

ـ لما لم أتلق ردك هذا إلا متأخراً؟!

لا تردّ..

وانقضى الأسبوع فاتصلت بها كي أجدها تصرخ بوجهي:

ـ لما تقولين إنّني تعمدت إرسال الرد متأخراً ثم أنه عند عودتنا كان قد انسرق البيت كله. فمشاكلي كثيرة ولا ينقصني أنت.

وأقفلت الخط.

تركتها تهدأ قليلاً كي أعاود الإرسال والسؤال ماذا سرق بالضبط فكانت أحياناً تجيبني وأحياناً لا أسمع لها همساً.

يا إلّهي ماذا يحدث لي هكذا كنت أسأل نفسي كل حين.

وأعاود الإرسال بعد عودتها من الرحلة الغامضة.

ـ أيمكن أن نتحدث قليلا.

ـ لديَّ امتحان.

فتوترت حيال ذلك فقد كان عليَّ إحترام فترة الامتحانات ولكن شيئاً بداخلي يفقدني صبري ويجعلني لا أقدر على أن أحترم ظروفها؛ ضغطت على نفسي طويلاً حتى لا أخوض بأي حديث آخر معها لكنني أعود كالعادة لأسأل:

ـ متى تنتهي الامتحانات؟

فتقول اليوم الفلاني وأقرر الانتظار لكن ساعات اليوم كانت كأنها أشهر فأقول لا ضير إن أرسلت وهي تدرس فيمكنها تأجيل الرد:

ـ هل تدرسين ليل نهار ولا تتحدّثين حقاً مع أحد؟

فتفاجأت بها ترد بلطف فأغدو بذلك بأحسن حال.

إنتهت الامتحانات كي أعرف أنها لم توفق في بعض المواد فقد سألتها طويلاً ولم تشأ الإجابة إلى أن قلت:

ـ هل هناك مواد ضاعت عنك؟

ـ نعم.

منذ أن تعرفت إليها وأنا صريحة معها كثيراً كي يجعلها هذا أيضاً تبادلني نفس التصرّف، لكنها كانت تنطلق في الكذب دوماً ظنّاً منها أنّها بذلك تصبح أكثر قوة وأحلى في عيون الناس. لم تكن قط صريحة ولا صادقة إلا في ما هو معروف عند العامة، وكثيراً ما اختلفت معها على ذلك:

ـ لما يا بنت الناس لا تريدين الثقة بي رغم شدة صدقي وصراحتي ولما كل هذا الكذب الذي أراه سلوكاً بشعاً أو ربما سلوكاً غبياً أو ربما الإثنين معاً.

تلتزم الصمت الذي أفهم منه لا تتعبي نفسك فأنا لن أتغير.

بعد انقضاء فترة الامتحانات توقعت أنه سيكون هناك تحسّن في صداقتنا مع بعض؛ لكن ظلّ الركود سائداً؛ لم أكن أتراسل معها بالسوري لأنني لا أحسنه لكن أستعمله أحياناً للمزاح:

ـ شو رأيك أسهر معك أسليك؟

ـ صديقتي مريضة ادعي لها بالشفاء.

فوجدتني أقول بداخلي ها قد انطلقت مجدداً في كذبها المعتاد..

وكي أتأكد أسألها:

ـ هل أنت عندها؟

ـ هي عندي.

هنا تأكدت أنه غير صحيح. فهل يمكن أن تكون مريضة إلى هذا الحد مثلما كانت تصف لي ولا يأتي أهلها لأخذها؟!! فلم أصدقها وقلت مازحة:

ـ أطلبي منها العودة إلى البيت وستشفى فأنت تجعلين بلداً كاملاً يمرض.

لحظتها أجابتني ثائرة:

ـ ما بدي ياكي تتصلي من جديد أنت عديمة الإحساس.

وعادت القطيعة لمزاحٍ لم تستوعبه هي وبقيت أنا لا أصدق أن هناك صديقة مريضة ثم أنه حتى وإن كان هذا صحيحاً فلما تعيرها اهتماماً أكثر مني، وبعد اتصال هاتفي علمت أنها من السعودية فقلت إذن كانت القصة حقيقية، لكن كثرة الكذب جعلتني أشكّك غالباً في أقوالها، ثمّ وجدتني أغار وأحاكي نفسي هل فضّلتها لأنها من الخليج بلد المال؛ فمعروف عن سكان الشرق الأوسط تفضيلهم للخليج لأجل ماله، أم لأنّها كانت ببيتها أم لماذا؟!!

حتى أعيد المياه إلى مجاريها أرسلت:

ـ هل لو كنت رجلاً وكان لي كلام منمق ما كنت لتردي عليّ؟

فزدت بذلك الطين بلة:

ـ أولاً أنا لا أتحدّث مع رجال لأنّني لا أصدق كلامهم وأنت آخر مرة تتكلّمين بهذا الأسلوب.

دوماً عندما يصلني منها ردّ إذا كان يبدأ بكلمة "أولاً" أفهم أن هناك حرباً ستقام ضدي وليس بيننا، فأنا لم أحاربها أبدا لأنّني كنت حريصة على العيش بسلام وعلى أن تفهم أننا أصحاب وليس أعداء.

* * *

إنقطع ردها لفترة طويلة قائلة إنها لن تتواصل معي بعد الآن. كانت صحتي وقتها تزداد تدهوراً فقد أصبت بالأنيميا ربما ليس لسوء التغذية ولكن لانعدام التغذية فقد كانت حبيبتي الغالية أمّي تحاول الكثير لإقناعي بالأكل ولا أقدر.

كما كانت صحة أمّي تضمحل كل يوم وكان أبي لا يساعد بل يوتر الأجواء أكثر فلم يكن يصدق أنّني حقاً أتألم فإذا صرخت ليلاً من شدة الألم يقول:

ـ أوجدي لها حلاً دعينا ننام.

فتقف عند رأسي محتارة ماذا تفعل فلم يكن هناك شيئ يُفعل. لقد أثبت لي أبي نظرية أنّ الأبوة ليست بيولوجية إنما إحساس لا يتواجد عند كل الآباء البيولوجيين.

بعد ليلة عذاب أستفيق كعادتي مبكرة لكن لم يفارقني الألم بشكل نهائي فتقول أمّي لإخوتي إذا لم تساعدونني في علاجها سأغضب عليكم إلى الأبد فيبادر الكل لفعل أي شيء مخافة أن تضيع منهم الجنة. كانت المشكلة أنّني لا أقدر على الحركة ولا أتحمل أن يلمسني أحد فلم يكن إلّا أن قرّروا إحضار سيارة إسعاف لنقلي، لعل الأشعّة الجديدة تظهر شيئاً. كانت أمّي ترافقنا قائلة إنها لا تستطيع البقاء في البيت منتظرة مخافة أن يدخلونني المستشفى دون أن تراني فرافقتنا.

وبعد المعاينة قال الجرَّاح الذي أرسلونا إليه:

ـ واضح أنه تلزمك عملية في الظهر لكن بعد إجراء هذه الأشعّة.

قلت:

ـ لا أقدر فأنا إن كنت قد وصلت إلى هنا فهي معجزة.

ـ سأعطيك حقنة تخفف الألم وتمكّنك من الذهاب والعودة.

عند عودتنا إليه قال:

ـ مدهش فليس هناك أي شيء يدعو للعملية.

ثم نظر إلى أخي دون قول أي شيء آخر فقال أخي:

ـ هل ثمّة خطب؟

قال الجرَّاح:

ـ لا فكل شيء على ما يرام وسأعطيها علاجاً سينفعها حتماً فجميل أن تفلت من العمليات وإحداث الجروح بالجسم.

كنت أحسّه لم يفهم الأمر برمته فهو من أولئك الأطباء الذين لا يعترفون بأن هناك شيئاً خفياً يعجزون عن فهمه وعليهم البحث بشتّى الطرق لكنّه برغم كل المدح الذي سمعناه عنه لم يكن بالنسبة لي يحسن التخمين واستغلال العلم الذي بحوزته لقد كان تقليدياً فالألم برجلي ولكن ليس ضرورياً أن يكون المصدر هو الظهر فربما الحوض أو ربما غيره....

عدنا إلى البيت؛ كان أبي قلقاً أو ربما كان يتظاهر أمام أمّي بذلك لأنّها كثيراً ما كانت تؤنبه على عدم اهتمامه بمرضي، استغرب عودتنا وقال:

ـ أجّلوا العملية؟

قالت حبيبتي أمّي:

ـ لم يفهموا شيئاً.

ثم بقينا أسبوعاً كاملاً وأخي ينتظر وصول الدواء من فرنسا لأنه لم يكن موجوداً ببلدنا. ودخل أخي مساءً مستبشراً:

ـ ها قد وصل الدواء.

كم كنت أكره أنا المواد الكيميائية فقد كنت أفضل دوماً التداوي بالأعشاب لأن جسمي لا يتجاوب كثيراً مع الكيماويات فأنا لا أتقبل حتى المشروبات غير الطبيعية، لكن رغبتي في الشفاء لأجل أمّي جعلتني أقبل أي شيء.

أخذت الدواء أول يوم فوجدتني أنتفخ وأتقيأ دون توقف وكأنها بداية رحلة المحن فأنا لا أقدر على الحركة فكيف أفعل وقت الاسترجاع؛ وعلمت أن الدواء لم يناسبني وتأكدت بذلك أن نظرتي لذلك الجرّاح كانت صائبة. إنتفخ كل جسمي وكان يسبب لي ألماً شديداً زيادة على الذي كنت أعانيه من قبل وتوقفت عن العلاج.

لم يكن أبي يؤمن بالرقية الشرعية والطب البديل لكن قالت له أمّي يجدر بك فعل شيء، فقال لإخوتي أحضروا

لها رقاة أو حتى سحاراً، المهم أن تقف مجدداً فقد أتعبني صراخها ليلاً.

تواجد الزائرين دوماً كان يرفع من معنويات أمّي، فحتى عندما مرضت إذا سأل عن صحتها أحد تقول:

ـ إذا شفيت ابنتي سأشفى أنا.

و تقاوم لأنها تعلم أنه ليس هناك أحد سيهتم بي إن تركتني. كان كلما يخرج راق جديد تدخل هي وتقف فأقول يا ربي كيف سأزيل نظرة خيبة الأمل هذه التي بعينيها.

أعلم أنها لا يمكنها أن تتخلى عني لكن أخاف كثيراً إن تركتني؛ وكان هذا التفكير يراودني باستمرار فأصبحت أدعو ربّي أن يجعل عمري قبل عمرها فهي لها إخوتي تُصبِّر نفسها بهم لكن أنا من لي غيرها.

أفرُّ من كل ذلك بالسؤال عن نمرة فأتصل ليلاً:

ـ ماذا تفعلين؟

ـ أشاهد فيلماً.

ـ على أيّ قناة؟

ـ اشتريته.

ـ ما هو عنوانه ومن يمثل فيه؟

ـ ما في.

ـ فيلم بدون عنوان وبدون ممثل؟ معقول؟

لا ترد..

ـ أريد استئجاره.

ـ أطلبي أي فيلم سلسلة الرعب.

ـ أنا أفضّل أفلام الجوسسة ثم أنا أفلام الرعب لم أشاهدها نهاراً وتظنين أنني سأشاهدها ليلاً!!!

لا ترد..

ـ قولي الحقيقة ما العنوان؟

ـ إذا ما بدك تصدقيني أنت حرة.

وقضيت الليل كله أتساءل ماذا كانت تشاهد إلى أن نمت...

في اليوم التالي حاولت أن أُعَوّد نفسي على مشاهدة المسلسلات التي لا أحبها فأحياناً اختبار الأسوأ يكون أفضل والمسلسلات كانت بالنسبة لي أسوأ شيء بالتلفاز اختبرته وبدلاً من أن أركز على قصة المسلسل ركزت على الكلام فكنت لأول مرة أتساءل عن معنى كلمة كربوجة وهي باللهجة السورية. فقلت سأسأل نمرة لأنّني لم أكن أعتقد أنّ هناك أحداً يضاهيها في التعبير والتوضيح إن هي رغبت:

ـ ما معنى كربوجة؟

وأثناء انتظاري سمعت كلمة أخرى آدمي فأرسلت من جديد:

ـ ما معنى آدمي؟

لم ترد.. ثم قلت ربما هي كلمات تحمل معنى مشيناً:

ـ هل هي كلمة سيئة؟

ـ أي كلمة؟

ـ كربوجة وآدمي.

ـ كربوجة أي ظريفة وآدمي أي إنسان حسن طيب.

فقلت سأضع الكلمة في جملة حتى أتأكد إن كان فهمي صحيحاً:

ـ أنا أتخيلك في الصباح عندما تستيقظين تبدين لي كربوجة.

ـ شكرا يا آدمية.

وظلّ الجو بيننا دون تكدير لمدة يومين. بعدها استمر إرسالي أسبوعاً كاملاً لم أتلق فيه جواباً وبعده أجابتني:

ـ أنا كنت بالأردن.

فارتحت، وأصبحت لا أتمنى أن أعرف الأيام التي تسافر فيها إلى الأردن أو لبنان.. يا إلَهي فأنا أحسّ بفراغ كبير داخلي؛ فكأنّني موجودة معها بالشام أحسّ وكأنّ

سوريا بأسرها خالية ولا طعم لها إن هي غادرت خارج الحدود.

أتذكر الآن تلك الأيام الأولى من تعارفنا أننا كنا في فصل الصيف فدعوتها إلى منزل الشاطئ وهو بيت بسيط تذهب إليه العائلة كل سنة يقع قريباً من شاطئ صغير في بلدة صغيرة:

ـ لا يمكنني ترك مامي فسأكون ابنة عاقة.

ـ تعالي أنت وهي.

ـ هي مريضة لا يمكنها السفر.

ـ تمنيت كثيراً أن تلبي دعوتي.

ـ شكراً على الدعوة ما فيني.

* * *

ـ أدخليني يا نمرة في دهاليزك حدثيني عن طفولتك.

ـ ....

ـ إذن أخبريني عن أي شيء آخر إذا كنت لا ترغبين في الحديث عن حياتك.

ـ ....

أثناء إرسالي هذه المساجات دخل أخي ليقول أحضرت راقياً جديداً؟

أحسّ لحظتها بالملل فأنا أعلم أنّني لن أتحرك. . . لكن الغريب أن هذا الرجل كانت طريقته مختلفة فبعد أن قرأ القرآن طلب مني الوقوف قلت:

ـ لا أقدر.

فطلب من أخي مساعدتي في بعض الحركات البسيطة بالنسبة للإنسان الطبيعي لكن بالنسبة لي فقد أجهدتني وكنت لا أكف عن النظر إلى الساعة متى يخرج هذا الممل لقد تعبت ولا أرغب في المواصلة لكنّه كان أكثر منّي إلحاحاً ثم ينتهي الزمن الذي كان قد حدّده مع أخي دون علمي ويقول نكتفي بهذا القدر.

بعد خروجه أسرع بمد يدي إلى الموبايل حتى أنّني أنسى عشائي فأنا بعد تعب الرقية مشتاقة للحديث مع نمرة، فأنا أحسّها يا ربي بدمي ولا أقدر على مقاومة الكلام معها فماذا يمكنني أن أفعل؟

كان طبعي أنّني أحب أن أكون على علم بكل شيء لكن هذا الراقي كنت أحسّه أمامي يتظاهر بالقول لأخي:

ـ سنبقيها على دراية بكل شيء.

ولكن عندما أسأله ما هي الخطوات الأخرى القادمة يقول:

ـ مازلنا لم نبدأ بعد فهذا إحماء لك فقط.

فكنت أظنّه سيمضي قدماً في الأمر لولا أنّني كرهته وأصبحت أحسّ بالقرف منه فكلما توضأ ودخل مبللاً نفرت منه وقلت ليته يخرج دون رجعة لكنه ظلّ مستمراً في علاجي بالقرآن قليلاً وبتلك الحركات أكثر فوجدتني أمشي بصعوبة ولكن المهم أنّني أتحرك، إلى حدِّ اليوم الذي التزمت فيه الصمت فظل يسأل عن السبب وأنا أرفض الكلام ثم قلت له ثائرة ومتحدِّية:

ـ كم أمقتك ولا أظنك تنفع لعلاجي.

أعلم أنه كان حرياً بي أن لا أقول كل ما أحسّ به لأنّ ذلك جعله يذهب ولا يعود كما أن شيئاً ما يجعلني أتحدث بما يفسد الأمر دوماً. لكنّه كان الأول الذي ساعدني على المشي مجدداً.

ثم جاء بعده كثيرون فكانت كثرة القرآن تمكنني كل يوم من الحركة بشكل أفضل وأصبحت أمشي عرجاء فاستبشرت أمّي خيراً لكن فرحتها لم تكتمل فقد مرضت هي مجدداً أو سأقول لم تعد تقدر على المقاومة أكثر فهي لم تشف أبداً. كلما كان يزيد ألمها، أُكثر أنا من الإرسال إلى نمرة وتقلّ قدرتي على دفع الرغبة في التواصل معها.

لم أكن أحب تكليف أمّي عناء تحضير الأكل لي فكنت آكل أيَّ شيء وأسمعها تقول لأبي:

ـ أتساءل كيف تتمكن من الحياة وهي لا تأكل أيَّ شيء.

ناسية أنها هي أيضا لم تكن تأكل أيَّ شيء ولا حتى شرب الماء الذي كنت أجبرها على شربه فتقول لا أقدر؛ كان جسدها ينسل كل يوم وأنا حائرة ماذا أفعل.. كيف أحيا أو لِما سأحيا إن تركتني فتخاصمت كثيراً مع أخي وأنا أقول افعل شيئاً ولو بالرقية فهي كانت عندما تسمع الرقية تقول إنها تلك الليلة تنام أحسن فيقول:

ـ نعم.. نعم..

لكنه لا يفعل.

رحيـــل أمّـــي

عندما أصبحت أمشي قليلاً كنت أقول لأمّي اخرجي إن شئت لكن المبيت لا فأنا أخاف قضاء الليل بدونك وأن أستيقظ ولا أراك. كانت ليلتها عند أختي وعادت لأنها تعلم أنّني سأظل أتصل إلى أن تدخل البيت؛ لكن تفاجأت بها تطرق الباب وهي تبكي. أسأل:

ـ ما بك؟

ـ لا أدري.

ـ لكن يا أمّي أتبكين بدون سبب؟

ـ لا أدري.. لكن ألم ببطني.

لا أعلم كيف انقضى الليل ليأتي صباح راكد. قال أبي:

ـ خذوها إلى المستشفى لعلهم يستطيعون معرفة سبب الألم الذي تشكو منه.

بسبب نومي المتأخر معها لم أرها تغادر كي أفاجأ

فيما بعد بأن أبي أمر بنقلها إلى المستشفى، غضبت كثيراً لعدم إخباري وخفت وأنا أقول من سمح لهم بأخذها فقد أحسست كأنها سرقت مني غدراً، فاتصلت بأخي لأخذي إلى المستشفى وتأخر إلى أن عاودني الألم برجلي فرفضت الذهاب، وحضرت أختي مساءً قائلة:

ـ إنها أحسن، وتقول لك لا تقلقي سأعود غداً.

ـ كيف سأصبر للغد أريد الذهاب للمبيت معها في المستشفى.

ـ يبيت معها من يساعدها وأنت مريضة.

ـ سأقدر.

ـ لا... تركت معها من يعتني بها.

وحتى التليفون. خفت من الاتصال لأن سماع صوتها كان سيجعلني أفقد صبري أكثر لشدة شوقي لها لكنني الآن أقول إنه كان يجدر بي الاتصال لأنها بعد تلك الليلة رحلت إلى الأبد. الشيء الذي لم يصدقه أحد فكيف سأصدقه أنا. اعتقدت أن ربّي أجابني سؤالي وكنت أنا من سأرحل الأولى لكن سلبت مني روحي وتركتني، لم أكن أصدق ومازلت، فلم يكن بحوزتي ذرة صبر فأنا إن خرجت لوقت قصير أشتاق إليها وأحسّ البيت خالياً فكيف إلى الأبد! لم أجد سبيلاً إلّا أن أوهم نفسي أنها في

الطابق الأسفل وإن نزلت فهي في الطابق الأعلى أو خرجت لشراء شيء وستعود وهكذا كان عليَّ أن أعيش، كنت أرغب في إخبار العالم أن يترجّوا معي ربّي أن يعيدها لي لكنه لم يكن ممكناً. ولم أكن أقدر بعد على كثرة الجلوس أو كثرة المشي؛ لذا كان عليّ أن أتمكن من الخروج للعالم عن طريق نمرة لا أدري كيف أخطأت وكتبت إليها - فلم أكن أطيق رؤية أحد لأنّني لا أريد تذكر الحقيقة -:

ـ كنت أتمنى أن تتعرفي على أمّي.

ـ لِما لا.. خير؟

لم يكن مفروضاً أن تسألني فهي لا تسأل أبداً عمّا يخصني فلما هنا تسأل حيث لا أقدر على الإجابة.

لا أذكر إن كنت قد أخبرتها أم لا، أنا أريد أن أمضي حيث أنسى خاصة أن نمرة ليست من ينفع كمُصبِّر لي فقد كانت صحوبيتها دوماً رديئة، فقد جعلتني لأول مرة في حياتي أعرف جحيم علاقات الصداقة وليست ممَّن ستدرك ما أمرُّ به مهما شرحت لها فقلت بداخلي:

ـ فهي حتى لم تبعث بتعزية إلي. لكنها قالت فيما بعد إنها أرسلت قبل سفرها إلى الأردن. لكن لم يصلني إلّا مِسَّج ناقص لم يكتمل أبداً، قلت ربما وإن كانت لا

تهمني تعزيتها هي بالذات في تلك الفترة فقد أحسست بأنني أركض بفكري في كل اتجاه أين أختبئ ولا أسمع أحداً وأجلس أنتظر أمّي مثلما وعدتني. ألم تكن قد أرسلت السلام مع أختي وقالت لا تتركيها وحدها إلى أن أعود. وبينما أفرّ من الناس وأرفض كلمة موت اشتدّ الألم أكثر وظهر شيء غريب برجلي تطلّب مني معاينة الطبيب من جديد، كنت أرغب في إكمال الرقية لأنها ساعدتني على المشي ولو ببطء لكن إصرار أختي جعلني أذهب كي أجده يقول لي اذهبي إلى المستشفى الآن وبعد فحوصات طويلة وعديدة أظهرت الأشعّة الجديدة أن هناك مرضاً أصابني في العظام وبعملية سريعة تمكّنا من مُعالجة الأمر.

حزنت كثيراً ليلة تواجدي في المستشفى وحدي فقد تذكرت مجدداً أمّي وكم كانت ستحمل مزيجاً من الأمل؛ الخوف؛ القلق والفرح الذي كانت تبحث عنه طيلة حياتها فكيف سأنسى يا ربي... فقلت إن اتصلت بأحد ممن أعرفهم لن يتحدّثوا معي إلّا عن مرضي لذا سأرسل إلى نمرة، لم تشأ الرد علي فاضطررت للقول:

ـ إنني لا أتحمل هذه المستشفى.

ذلك لأنني لم أكن أرغب في الدخول إلى مستشفى

عام لكن أخي قال إن العامَّ أفضل لكثرة خبرة الجرَّاحين فيه. قالت:

ـ شو عم تساوي بالمشفى؟

ـ سأجري عملية.

وتفاجأت بها تسأل ولم يكن من عادتها فقالت:

ـ أولاً أنا عن قصد لا أسألك عن مرضك حتى ما تفكري أن صداقتي معك من باب الشفقة.

ـ عديني بأنك لن تبتعدي ولن تتخلي عني أبداً.

ـ هذا إذا أنت وفيت بوعدك.

ـ أي وعد؟

فلم تجب وعادت إلى الصمت ثانية.

ثم أجابت بعد قليل:

ـ إنك ما تزعليني متل أول.

فقلت إذن ستبتعد ذلك لأنها دوماً تفتعل الزعل ولن يكون ذلك عليها صعباً، تذكرت ليلتها يوم كتبت أخبرها عن مرضي لأول مرة لأنني في البداية لم أكن أرغب في الحديث عن نفسي لكن تهديدها الدائم بالابتعاد كان يجبرني على ذلك فقالت:

ـ أنت فقط لا تسيئين الظن.

أي لا أسيء الظن بها وكأنها أرادت القول ثقي بي

لكنها خذلتني فيما بعد وقد كان أمراً مشيناً وماذا كان يجدر بي أن أفعل فأنا حتى عند استيقاظي من المخدر فكرت في الإرسال لها لكن نفاذ البطاقة مني حال دون ذلك.

كنت دوماً أقدّر لها إيجاد الوقت للحديث معي وأحسّ أنه تستحق شيئاً أفضل مني. أحب سماع صوتها أثناء تعبي لأنها تقويني وأثناء إحباطي لأنها تدفعني إلى الأمام من جديد ولو لم أتحدث معها عن شيء يخصني فقط أسمع صوتها فهو يبعث فيّ الأمل والرغبة في الاستمرار وعدم التوقف كي ترضى وأعجبها لأنني لا أعجبها أبداً بأي شيء.

ثم خرجت من المستشفى وأنا أترجى أهلي أن لا يخبروا أحداً لأن زيارة الأقارب لي ستذكرني بأمّي، ثم بدأت أتحرك بشكل أفضل وتغيرت شهيتي لقد كان مرض السل لكن أصابني الميكروب بالعظام. بعد شهر ونصف أقنعني أخي للقيام بعمل ما في حياتي كي يمكّنني ذلك من نسيان أمّي واستمرار الحياة فقلت لنفسي لما لا أسأل نمرة لعل لها رأياً نافعاً فقد كنت أرغب مشاركتها شؤون حياتها وعندما رفضت قلت تشاركني هي بعض أمور حياتي. اقترح أخي محل تصوير أو كمبيوتر أو موبايلات أو

حلويات، قالت حلويات شرقية انتقدت أنا الحلويات الشرقية لأنّني لا أعرف عنها شيئاً فقالت:

ـ طبعاً أنسب وخاصة إذا كان الشيف لبناني أو سوري لأن كل شي يقل الرغبة فيه إلا الأكل المعمول على الأصول الصحيحة.

ثم قالت أيضاً:

ـ اللبناني أو السوري أشهر وأطيب حلويات بالوطن العربي.

لم أقتنع ليلتها بكلامها لكن في تلك اللحظة دخل أخي فقلت اسمع ماذا تقول لي نمرة فقال معها حق وتحدّثنا طويلاً إلّا أنّني بقيت غير مقتنعة، لكن فكرت فيما بعد أنه ربّما هذا العمل إذا جمعني مع نمرة فقد يزيل التوتر الدائم بيننا لكنها غضبت ورفضت الحديث معي مجدداً وعدت من حيث بدأت.

* * *

كثيراً ما كنت أحسّ أن هناك فوضى عارمة بحياتي ولم أكن أتمكن من ترتيب أي شيء ولا حتى أفكاري. كانت أختي لا تكف عن محاولة جعلي أنسى رحيل أمّي وعن الاهتمام بصحتي وعن إقناع إخوتي لدمجي بالحياة

العملية لضمان مستقبلي في حين كنت أنا غارقة مع المساجات إلى نمرة.

وتفاجأت بها عند آخر اتصال تقول لي:

ـ أنا لا أعرف حتى شكلك فلم ترسلي أبداً صورتك.

بقيت أفكر طويلاً عن السبب الذي جعلها تطلب صورتي وهي التي لم تهتم يوماً بأي شيء يخصني. كتبت أسألها:

ـ هل ثمّة خطب؟ لما تطلبين صورتي فأنت لا تطلبين شيئاً ولا تتحدثين بأمر لله في لله فماذا هناك؟

ـ . . . . . .

ثم صادفت أثناء تواجدي على الأنترنت أنني فكرت في إرسال أغنية إليها بالبلوتوث لكن حجمها كان كبيراً عن الحد الذي يقبله الإميل فتذكرت أنها طلبت الصورة لكن ترددت ما دمت لم أعرف السبب فيجب أن أتريث؛ لكن فيما بعد أخذت صورة بالموبايل وأدخلتها عن طريق البلوتوث كي تبدأ بذلك أسئلة أخرى بفكري هل هي ممن يهتم للشكل فأنا أعلم أنها جميلة جداً لكن نحن أصدقاء وليست هناك أهمية للشكل. هكذا كنت أحدّث نفسي أو هكذا كنت أُصبّرها ثم أرسلت أسألها لما لا تردّي على

الإميلات ولا الاتصالات إلى اليوم الذي ردّت فيه كعادتها غاضبة:

ـ صورتك منيحة وما بيهمني الشكل.

ثم لم يتضح صوتها جيداً فلم أكن أسمع إلا عبارة "بيتنا إنسرق" ثم انقطعت المكالمة فقلت ألا يسعها إخباري يوماً بخبر جميل؛ للمرة الثانية تقول بيتهم سرق وليتها تتحدث مثل كل الناس بشكل عادي حتى أنّني لم أكن أفهم ما العلاقة بين الموضوع الأول والثاني!!!؟

كنت دوماً بعد كل اتصال معها أتحدّث مع نفسي بصوت عالٍ معقبة على كل ما سمعته وغالباً كنت لا أفهم العلاقة بين المواضيع التي تذكرها في ظرف دقيقتين!!!

ـ عن ماذا كانت تتحدث.....

كرهت الاتصال بها وإرسال المِسَّج أو الإميل فقد أصبحت مملّة، اعتقدت أن رؤيتي لها مملة ستبعد سحرها عني. لكن بعد فترة وجيزة لم تتعد اليومين أرسلت مازحة:

ـ إن كنت ذكية واجهيني بدلاً من الصمت.

ـ ولأني ذكية لا أرغب بمواجهتك.

وأحاول لكن لا ترد... وتعاودني الأسئلة هل كنت

عدائية معها دون أن أشعر؟ حتى إن جلست مع أحدهم لعلّي أنسى أجد صوته بعيداً وأخرج عن السيطرة وأقول سأسافر إليها لكن....أشياء كثيرة تحول دون سفري فلا قدرتي الصحية ولا قدرتي المالية ستمكنني من ذلك.

كنت أتوق لأن تكون بحياتي ألواناً وهي لون من الألوان الجميلة.

زواج أبــي

أرسل في الصباح مِسَّج مع رسم لفنجانين قهوة:

ـ صباح الخير.

ـ صباح النور يا لذيذ يا رايق.

ـ أتمنى لو تتزوجين رجلاً "حمش" كي ينتقم لي منك على كل ما تفعلينه بي.

ـ مش راح يتحقق أملك لأنّني أنا عنيدة.

أثناء هذا التصالح الجديد معها تفاجأت بأبي يقول:

ـ ألن تطلبي من صديقاتك مساعدتي؟

ـ بماذا؟

ـ للخطبة لي ألن أتزوج.

لحظتها صدمت وصعدت إلى غرفتي وأنا لا أعرف عمّا كان يتحدث هل يعقل أن يخذلني أبي من جديد إلى هذا الحد. غريبة الأحداث التي تحدث في حياة الإنسان

فلم يمر على رحيل أمّي قرابة شهرين إذ أفاجأ بأبي يتحدث عن زواجه فتذكرت آخر مرة مرض فيها كيف جلست حبيبة قلبي أمّي تبكي وتدعو الله أن يجعل عمرها قبل عمره وتساءلت حينها هل يحمل لها هو نفس الوفاء، بالرغم من أنّها أجمل منه وأهدأ منه وأكثر حنكة منه فكثيراً ما كان يشهد لها الكل بحكمتها ورقة قلبها فكان حتى أقاربه يلجأون إليها لاستشارتها أو الشكوى فكانت نِعْم العون، فكم بكى ابن عمه لفراقها؛ وحتىّ عندما كانت تمرض كان يقول لها لو أسميتك أمّي ناسبك ذلك ولو قلت يا أختي أيضاً يناسبك ذلك فهو ابن عمي ولكن أحسّك أقرب فسامحيني إن أخطأت بحقك يوماً. غريب أن تكون أمّي هي التي أحبت أبي أكثر وغريب أن لا يصبر على الزواج بعد رحيلها على الأقل ستة أشهر لا بل ويطلب مني شخصياً أنا أن أخطب له استعانة بصديقاتي. غريب أن لا يحدث إلا الغريب بحياتي.

ومرت الأيام بسرعة كي أفاجأ بخبر قدوم زوجته الجديدة، فأجدني لا أقدر فأين المفر فلا أريد أن نتشاجر ولا أن نختلف فقد استهلك المرض كل قواي وأهدر نفسي، كان عليّ أن أفعل ما ينبغي فعله لقد كانت أمّي تستحق شيئاً أفضل لكن فات الأوان فعلام الحسرة.

أحسستني في مأزق ثم قررت السفر إلى دبي بحجة حضور مهرجان التسوق كي لا أقول لأبي إنني لن أحضر يوم زواجك بعدها غيرت رأيي فقلت بل هذه هي الفرصة كي ألتقي بنمرة فسأسافر إليها، أرسلت أخبرها هل هذه الأيام ستكون موجودة، فلم ترد وأعدت السؤال وهي ترفض الرد.

ووجدت يوم ذهابي للحجز أن جواز سفري انتهت مدة صلاحيته ولن أتمكن من السفر خارج الجزائر لكن سأسافر إذن إلى الشرق، مدينة عنابة الناحية التي أتمنى دوماً رؤيتها ورؤية الكرنيش المشهورة به ربما لم يكن الظرف مناسباً للسياحة والمتعة فسفري لم يكن استجماماً ولكن هروباً حزيناً.

أثناء تواجدي في مدينة عنابة لم أتصل بنمرة ثم عدت.

* * *

لم أعد أحسّ أن شيئاً يشدّني إلى البيت فقد أصبح أكثر غربة؛ رحيل أمّي ثم زواج أبي. كنت إذا تذكرت كل هذا أحنُّ لأن أرسل إليها من جديد فأخبرتها بسفري إلى

الشام لأنني يجب أن أراها فلم يعد لي صبر على عدم اللقاء بها فقد كانت بالنسبة لي دوماً موجودة معي وعندما تقاطعني أحسّها بعيدة وأود مجالستها لزمن طويل.

ليته يرسو بأوتاد قلبها غلاي (مثلما كانت تكتب لي في أوقات انبساطها أو "ويبقى القلب في ذكري وتبقى الروح على عهدي وأبقى أروع أحبابها"، وكثيراً ما كانت تكتب أيضاً "أنت شي غالي بالنسبة لي وأنه مو حابة أخسرك"). يبدو أنّني لم أعد غالية كثيراً عليها ولا حتى قليلاً ولم تعد تريد إلا أن تخسرني وأبتعد، لكن لماذا؟؟ سؤال لم أجد له إجابة إلا بعد سفري. أحسستها في الفترة الأخيرة متغيرة كثيراً تجاهي وكنت أكتب هذا لها لكن لا تفسره لي، إلى اليوم الذي كتبت لي فيه:

ـ يا عزيزتي رسالتك فاجأتني لأني قبلها بلحظات كنت عم أحكي عن سوء حظي.

ـ العبد في التفكير والرب في التدبير.

ـ ونعم بالله.

بالرغم من أنني أخبرتها مراراً أنني لا أحب كلمة يا عزيزتي إلا أنها تصر على استعمالها فهي إن كانت حقاً راضية عني كثيراً تقول بلهجتهم "حبيبي" والسوريون

يقولونها للمرأة والرجل وقت الرضى. لكن حتى بعد هذا الرد ظل سؤالي قائماً:

ـ لِما أصبحت غريبة؟

هي لا تأخذ من كتاباتي إلا ما تشاء أما الكلام الباقي فتتظاهر وكأنها لم تنتبه له!!

الســفـر

حجزت للسفر وحدي هذه المرة لأنني كنت أعلم أنني سأقضي الوقت كله معها ولا أرغب في مرافقة أحد لي فيشغلني عنها.

رغبت بلقائها شوقاً وكي أتأكد هل هي حقيقة أم خيال وطبعاً حضّرت نفسي لأسوأ استقبال منها ما دمت أرسلت أخبرها بقدومي ولم ترد فمعنى ذلك أن أتوقع كل شيء.

أوصلني أخي إلى المطار وهو يقول:

ـ لازلت غير مقتنع بسفرك لوحدك.

قلت:

ـ لا بأس فلن أكون وحدي.. هناك نمرة التي أسافر لأجلها.

ابتسم ثم ودعته.

فور وصولي إلى الفندق بسوريا اتصلت أختي تسأل

عني فقلت إنني بخير وفور أن أغلقت الخط اتصلت بنمرة فلم يكن لديَّ صبر إلى أن يخف رأسي من الصداع الذي كنت أعانيه فقلت لها:

ـ ها قد وصلت.

ـ نورت الشام.

ـ يجب أن أراك اليوم.

ثم فجأة انقطع الخط فقد نفذت بطاقتي ولم تكن لدي بطاقة أخرى قلت لا بأس أنا أيضاً متعبة ربما انتظار الغد أفضل فطلبت ينسونًا من خدمة الفندق مثلما أوصتني أختي لكن ظلت حالتي الصحية سيئة، وبينما أنا أحاول الاستراحة تذكرت أنني بسوريا وليس معقولاً أن أُضيّع أية لحظة فعليَّ لقاء نمرة في الحين لم آتِ للمرض. خرجت لشراء خط جديد لموبايلي فوجدت عاملاً بالفندق يقول:

ـ يمكنني مساعدتك عن ماذا تسألين؟

ـ أريد شراء خط للموبايل.

ـ في محل قريب من هون تشتري منو.

ثم وأنا أخرج من الفندق قلت له:

ـ لا بل أريد الاتصال هاتفياً.

ـ ليكو تليفون عالطريق.

ـ لا.. ليس هذا النوع ففي الجزائر لدينا محلات للتليفون حيث يمكن للإنسان الجلوس والتحدث بارتياح.

ـ إشتري بطاقة واتصلي من هون ما عندنا غير هاد.

إشتريت البطاقة واتصلت بها من جديد كي أقول لها:

ـ يجب أن أراك الليلة.

ـ راح أجي آخدك عالبيت نشرب شي وبرجعك بعدين.

ـ لا أريد الذهاب إلى بيتك.

ـ ما في عنا شباب أنا لحالي.

ـ أفضل أن تأتي.

ـ أنت هلا عمتحكي من الأوتيل؟

ـ لا من الخارج.

ـ ياالله ارجعي عالأوتيل وأنا جاية هلا مسافة الطريق.. أديش رقم غرفتك؟

ـ 101.

ـ أوكي.

عدت بعدها إلى الفندق لا أقدر على الصبر.... هل سأتعرّف عليها بسهولة هل ستتركني أحضنها بقوة هل ستكفيني هذه الليلة كي أشبع منها ولو نسبياً والسؤال

الأهم هل سأتمكن من تركها تعود إلى البيت لا أظن أن ذلك سيكون سهلاً عليّ.

نزلت من غرفتي وانتظرت بصالون الاستقبال وأنا لا أنفك أتوقعها أن تعبر ذلك الباب. وأعود إلى عامل الاستقبال، ألم يتصل أحد ألم يأتِ أي شخص؟؟ رغم يقيني أنه لم تأت لأنّ المدخل كان قبالتي لكن كان علي تبديد توتري بالسؤال عنها أسئلة أعرف إجابتها ومرت ساعة وأكثر. . .لم تأت. اتصلت من الفندق للمرة الثالثة:

ـ نمرة أين أنت؟

ـ عندي أصدقاء ما فيني أتركهم وأجي.

ـ لكن أنا أنتظر.

ـ عيب أطردهم أنا ألتلك أجي آخدك أنت ما رضيتي شو ساوي؟

ـ لكن اتفقنا فيما بعد وقلت ستأتي.

ـ مافي مجال اليوم خليها لبكرة.

ـ بكرة يا نمرة أنا أرغب اليوم.

ـ خلص. . هلا الوقت متأخر بكرة الصبح راح أجي. . أديش رقم الغرفة؟

كنت أتمالك أعصابي بقوة إلى أن قالت " كم رقم الغرفة " ففقدت صبري؛ سألتني من قبل عن الرقم وذكرته

لها وهي الآن بعد مرور ساعة تسأل من جديد أي أنها لم تكن صادقة معي من البداية. لم أجبها على سؤالها لأنّني أحسست أنها لا تسأل حقاً لتعرف ثم قلت:

ـ إذن صباحاً؟

ـ نعم.

لم أكن أتوقع أنني سأنام لكنني نمت.

إستيقظت فجراً فلم أغفو إلا قليلاً لعلّ الوقت يمر خلسة دون أن أشعر به. نزلت لتناول فطوري لكن سرعان ما تقيأت كل ما أكلته من تأثير المرض وزادني ذلك ضعفاً لكن جلّ تفكيري كان مركزاً كله على قدوم نمرة، مرت ساعات ثم اتصلت برقمها لأفهم ماذا يحدث لكن لا ترد. تذكرت ليلة البارحة فقد وعدتني وأخلفت بحجة صديقاتها فهي ترى أنه ليس من اللياقة الاستئذان منهن لارتباطها بموعد معي لكن من اللباقة أن آتي أنا من بلد آخر وأنتظر مواعيد زائفة دون اعتذار عن تأخير أو تأجيل؛ والأصحاب الموجودون دوماً بسوريا ليس لائقاً انتظارهم أو الاعتذار منهم، وطبعاً تتحدث معي بصوت عالٍ:

ـ أأطرد أصحابي عيب!!

أما تصرفها معي فلم يكن عيباً، تذكرت وقتها المِسَّج الذي أرسلته يوماً "حبيبي ما في سبب يخليني أقطع

صداقتي بك بالعكس أنت هلا أعز صديقة" تساءلت ماذا لو لم أكن "أعز" كيف كانت ستتصرف أكثر من هكذا إهانة.

ومرت ثلاثة أيام وأنا أتصل كل وقت صباحاً ومساءً وهي لا ترد، كانت تعي تماماً إنني لم أسافر إلا لأجلها ولكن توقفت عن الرد على الموبايل دون توضيح.

إزداد ألم رأسي ولكن لم يكن تفكيري مشغولاً إلا بلقائها.

وكلما تتصل أختي:

ـ اذهبي إلى الطبيب.

ـ لا أعرف كيف أجد طبيباً للجهاز الهضمي ثم أنّني لا أقدر فأنا حقاً مريضة.

هنا تأخذ ابنة أختي الموبايل من أمها كي تقول لي:

ـ وأين نمرة ألم يكن من المفترض أن تلتقي بها لا يعقل أن لا تعرف إيجاد طبيب لك.

ـ ليس بعد فهي لا ترد على الاتصال ولا أعرف عنوانها.

ثم طلبت من عامل الفندق أن يسأل لي عن طبيب في الاختصاص الذي طلبته، وبعد نصف ساعة وجدته يتصل من الاستقبال قائلاً:

ـ لقد أخذت لك موعداً مع طبيب للجهاز الهضمي على الرابعة والنصف.

ـ شكراً.

وضعت السماعة بحسرة لأنني لحظة سمعت رنين الهاتف قلت ربما اتصلوا من الاستقبال لإخباري بقدوم نمرة لكن عندما سمعت الصوت يقول: لقد أخذت لك. . . . تأسفت.

ثم قاومت الإحباط الذي أصبت به وقلت:

ـ علام الأسف مازال أمامي خمسة أيام.

بعد أن أكمل العامل دوامه أوصلني إلى الطبيب، كنت أتعمد أن أمشي وراءه حتى أكون على علم مسبق إلى أين نتجه لم يكن المكان بعيداً عن الفندق الذي أنزل به ولكن أنهكني ثقل رأسي، كان مرافق الطريق مهذباً جداً، ثم شرع في الحديث عن سبب سفر الجزائريين بشكل دائم إلى الشام وسألني إن كان نفسه سبب سفري فقلت:

ـ طبعاً لا. . أنا سافرت لأجل صديقة لكن لا أملك العنوان وتوقعت أن تأتي هي.

ثم حدّثت نفسي بما لا أستطيع مواجهة الناس به. . . يبدو أنها لا تكترث لي بتاتاً وقد تخلّت عني.

تفاجأت به يقول:

ـ خدي موبايلي اتصلي فيها يمكن إذا شافت رقم موبايل ترد.

اتصلت ثم أعدته إليه:

ـ لا ترد.

ـ حاولي كمان مرة.

ثم بعد هنيهة قال:

ـ تعرف اسم الفندق؟

ـ نعم. . .لكن أظنّها لا تعرف رقم الغرفة.

ـ مو مشكلة فيها تسأل بالأوتيل عن اسمك.

ماذا كان بوسعي أن أقول له، إنّني أعرف أنه كان بإمكانها إيجادي بسهولة ما دامت تعرف الفندق ولكن منعاً للإحراج قلت:

ـ هناك فندق آخر يشابهه بالاسم ربما أخطأت في سماع الاسم.

ـ كمان ما في مشكلة سهلة هي. . فيها تمر عالإثنين.

فتمنيت لو أنه التزم الصمت فأنا أعلم كل هذا ولا داعي لتذكيري بنقمتها الأخلاقية.

بعد الفحص الطبي عدنا أدراجنا لكنه أصّر أثناء العودة أن نشتري الدواء فمررنا على ثلاث صيدليات إلى

أن وجدناه كله، كان شخصاً مؤدباً حتى أنني أحسسته كأخي ولم يكن غريباً كنمرة التي أجهدت نفسي لأجلها وسافرت، لكن ونحن في الطريق كنت أتخيله هي لأنني كنت أرجوها مكانه.

كان غضبي يزداد تجاه الصديقة العزيزة فما كنت أصدق أن تتصرف معي هكذا أذكر أنني قضيت وقتاً طويلاً عند الطبيب وظل هو منتظراً دون تذمر. رغبت في الرجوع إلى غرفتي بسرعة كي أرتاح لولا إلحاحه على شراء الدواء الذي فيما بعد وجدت أنه محقّ فيه لأنني كنت بحاجة لاستعماله على الفور. عند عودتنا لاحظت عيون العاملين بالفندق لكن لا أظنّهم يعلمون مدى أدبه ومدى حاجتي لمساعدته بعد أن اختفت من توحي دوماً للناس فهمها للأصول.

بعد شربي للدواء وأخذي للحقنة توقف الاستفراغ وخفّ قليلاً رأسي لكن ظلّ ذلك الانتفاخ بوجهي، ثم قلت أخشى أن يكون قد أصاب نمرة مكروه وأنا أسيء الظنّ بها فقررت شراء خط لأن كثرة اتصالاتي من الفندق جعلت من في الاستقبال يتصلون بي للسؤال:

ـ ماذا هناك فاتصالاتك كثيرة على هذا الرقم؟

ـ أسأل عن شخص لكنه لا يرد.

لذا خرجت أبحث عن حريتي في الاتصال فلم يكن هذا النزل يناسبني.

إشتريت خطاً جديداً وعدت فأرسلت مِسَّج لعلها تردّ ثم بعد قليل اتصلت إما أن تجيب أو لا . . . قلت سأحاول من جديد فإذا بي أفاجأ بها تقول:

ـ نعم.

لم أصدق. . فأسرعت في الكلام قبل أن تغير رأيها قلت:

ـ بحثت عنك طويلاً واتصلت كثيراً.

فصرخت بوجهي:

ـ لأنك عمتتصرفي من نفسك.

تساءلت كيف أنّني أتصرف من نفسي فلم أكن أملك إلا رقم موبايل وهي عمداً لم تكن تجيب فقالت:

ـ في شخص اتصل فيني وقال إنك تبحثي عني.

ـ من؟

ـ ما بعرف.

المهم لم أكن في موقع القوة كي أطيل معها الكلام فسألت عن عنوانها:

ـ صعب أنك تلائيه لحالك لازم أجي آخدك.

ـ أعلم أنك لن تأتي.

ثم اتفقت معي على موعد جديد:

ـ على الخامسة راح أجي.

أحسست أثناء إقامتي تلك الأيام بسوريا أن نمرة تكرهني حتى قبل أن تلقاني فكيف إذا التقيت بها، أصبحت أخشى تلك اللحظة ما دامت هذه هي مشاعرها تجاهي.

لكن شدة شوقي وحبي لها جعلاني أصر وأتناسى.

الـــلـــقـــاء

نمرة الغالية هذه التي تشبه حلماً مزعجاً لا أرتاح منه سأخرج للبحث عنها لأنها قالت ستأتي على الخامسة وهاهي السابعة أو قاربت. ركبت سيارة التاكسي وأعطيت السائق العنوان. فالجميل أنه أوقفني أمام بنايتها فكان يكفي أن أذكر اسمها العائلي كي يقول لي الناطور:

ـ نمرة صاحبة هيْ السيارة؟

ـ نعم.

أجبته وأنا لا أعرف حتى إن كانت سيارتها أم لا.

عندما كنت بالفندق بكيت كثيراً من تصرفاتها ومن إحساسي بالغربة رغم اتصال أختي الدائم وبناتها... إلا أنّني أحسست بالوحدة وكم خذلتني نمرة، لم تكن شخصاً غريباً سألتقيه لأول مرة بل صديقة قديمة وعزيزة لم أرها منذ أمد والشوق حملني على السفر لوحدي إليها؛ فقد رافقتني طويلاً طيلة إعاقتي أصعب فترة مررت بها وأنا

مدينة لها أنّها كانت دوماً موجودة رغم انشغالاتها، دائمة الغضب دون سبب لكن موجودة دائمة سوء الفهم نتيجة التسرع لكن موجودة دائمة التكبر والتعالي لكن موجودة فأنا أحبها يا ربّي في كل أحوالها.

ركبت المصعد وأنا أسمع صوت الناطور "الطابق الرابع " لكن لم يكن مُهمّاً ذكر الطابق ما دمت قد وجدت البناية فهذا الأساس لأنني كنت سأجد بيتها حتى وإن طرقت كل أبواب البناية. كان في الطابق ثلاثة أبواب؛ الباب الأول كانت تلتصق به ورقة أظنها من ساعي البريد قرأت الاسم الذي عليها فعرفت أنه ليس بيتها وبقي عليّ الاختيار بين البابين فكان الباب الثاني على يميني قلت إذن أبدأ بهذا، ضربت الجرس فخرجت امرأة. قلت: .

ـ نمرة؟

ـ لأ هاد الباب.

و هنا أحسست أن الباب الأخير هو باب الجنة؛ ضغطت على الجرس فخرجت امرأة وكانت أخرى وراءها تصرخ بالإنكليزي: .

ـ قلت لك ألف مرة أن لا تفتحي الباب قبل أن تعرفي من.

وأغلقت الباب بقوة، لم أفهم أنا ما كان يحدث واعتقدت أنه سيعاد فتح الباب لمعرفة من أكون، لكن انتظرت ولم يأت أحد، اعتقدت في البداية أنها عائلة غريبة الأطوار لكن فيما بعد قلت يجب المحاولة مرة أخرى لعلّ وعسى وهنا فتحت الخادمة الباب ورأيت الفتاة الثانية قادمة فقلت يجب أن أتحدث هذه المرة بسرعة قبل غلق الباب مجدداً فقلت: .

ـ نمرة؟

ـ أيوى.

ـ ليلى.

الحمد لله أحسست أن زوبعة أخرى أو إعصاراً آخر سيهب فتوقف بالتعريف عن نفسي:

ـ اتفضلي.

دخلت، وعندما هممت بخلع حذائي قالت:

ـ لا.. خليه.

كان بيتهم صغيراً وبالتالي فغرفة الاستقبال كانت صغيرة، مكان لزوجة أخيها الأجنبية ومكان لقريبتها؛ مكان لها وآخر فارغ كأنه ينتظرني، وجدت الكل لا يقف من مكانه مثلما نفعل نحن في بيتنا للسلام على الضيف

فقلت ربما إذن المصافحة هي الأنسب في هذه الأحوال. . وقالت:

ـ هي مرت أخي وهي بنت خالتي بس هي بنت أخي أحلى وحدة بالعيلة.

الغريب أنها لم تقدمني لهن، ثم وجدتها اختفت فأزحت القفازات التي كانت على المقعد الشاغر وجلست. وبعدها عادت:

ـ كيفك؟

ـ بخير. .لكن كان لدينا موعد.

ـ كيف؟

ـ كان لدينا موعد وللمرة الثالثة تخلفيه.

إبتسمت قائلة:

ـ والله هلا بّس دخلت أنا حتى ما عندي وقت ألعب رياضة.

ـ لكن أنا اتصلت بالتليفون حتى منتصف الليل.

ـ هو شغلي هيك ما عندو مواعيد أنا بلشت شغل بعدما تخرّجت من شي شهر وعمحضر الموضوع لحالي وماعندي وقت.

تفاجأت عندما علمت أنها تخرّجت فلما لم تخبرني أم هذا هو السبب الذي جعلها تتغير تجاهي وتتصرف معي

كالأغراب في الفترة الأخيرة قبل سفري!!؟؟ ثم أنها كانت تخبرني بالسرقات والحوادث وبمرضها إذا أصابها زكام ولكن الخبر الحسن لم تتذكرني فيه وتساءلت ما مدى معرفتي بها الإجابة: صفر.

في درج الكلام عن عملها وسبب الانشغال سألتني:

ـ أنت جاية لحالك؟

ـ نعم.

ـ والله قوية لو أنا ما أعملها.

ـ مجبرة فليس هناك من يسافر معي وكان يجب لقاءك.

لم أكن أعلم إن كانت عيناي يرينها أم قلبي فقد كانت آية من الجمال ولا أظنني سأقدر على وصفها لذا لا داعي لأن أحاول. أليس للسوريين نظر حتى يتركوا كل هذه النعومة دون زواج؟؟!! سؤال حيرني كثيراً. كانت تحمل نظّارات طبية - فهي تستعملها لمشاهدة التلفاز - وعلى وجهها آيات البراءة والطفولة، أجل فقد كانت ملامحها ملامح صبية إنها أفضل مما تصورت ومما رسمت بخيالي طيلة سنتين، ورغبت لو كان بإمكاني أن أجعل الغضب يتلاشى عن وجهي وأبدي مكانه الارتياح

كي تعلم أني أمسك بالقوة قدميّ عن الطيران لشدة بهجتي وسروري وأن السعادة تفيض من كل جارحة موجودة فيّ؛ أنّني أخيراً بإمكاني المسح على وجنتيها وتقبيلها وأخيراً بإمكاني الجلوس معها وسماع صوتها دون صراخ؛ فلم تتحدث معي في الهاتف إلّا وهي غاضبة، كنت متلهفة لحضنها وسؤالها عن كل أحوالها وعن حياتها منذ الطفولة الشيء الذي كانت ترفض دوماً ذكره لي عبر المِسَّج. كانت الفتاة المرحة المفعمة بالنشاط، كان جسمها ممتلئاً أكثر فقد كنت أتوقعها رشيقة، أجل كانت مذهلة وكان حرِيّاً بي أن أبدي لها ذلك لكن الغضب الذي جعلته هي ينمو لمدة ثلاثة أيام اشتد عليّ إخفاؤه. أعلم أنّني رأيتها بقلبي وليس بعينيَّ لكن.. هكذا رأيت.

ثم ترك الكل غرفة الصالون ووجدتها تعود هي تأخذ مكاناً ثم تقول:

ـ ليش آعدة بعيد أربي.

إقتربت فقالت:

ـ وصلت لعندكم أنفلونزا الطيور؟

ـ لا.

قامت ثم جلست:

ـ شو رأيك باللي صاير بينا وبين لبنان أنت مع مين؟

ـ أنا سويسرا.

إبتسمت:

ـ لأ.. لازم يكونلك رأي.

ـ أجل موقف حيادي.

ـ بل إما مع سوريا أو لبنان.

ـ أنت ليس لأحد أن يفرض عليك رأيه ولا يحدد عليك إجابتك أما أنا فلا!!.

ـ أنا ما بحب الظلم.

ـ لكن أن تظلمي أنت غيرك فنعم.

ـ أنا السلطة الرابعة.

ـ سلطة رابعة بعملك.

ـ بل بحياتي الشخصية كمان.

ـ لا.

ـ حلو.

وكانت هذه الكلمة الأخيرة تكررها كثيراً طيلة حديثنا بأي شيء فكلما أحكي عن أي أمر تقول حلو ولا أعلم إن كان معناها أن هذا شيئاً جميلاً أم أنها عادة... ثم

شرعت تحدثني عن سبب عدم قدومها إلى الفندق لشدة انشغالها فقلت:

ـ لن أقتنع لأنني أعلم أنه لم يكن صعباً عليك المرور ولو لدقائق وفي اختراع اسمه التليفون للاعتذار عن عدم المجيء أو عن التأخير.

الغريب أنها لم تكلف خاطرها الاعتذار على ثلاثة مواعيد مختلفة وكأنه شيء طبيعي أن تعد ولا تفي ولا تعتذر!!! ثم تحمل الموبايل وتقول:

ـ شوفي موبايلي صامت.

ـ لكن كنت تعلمين بوجودي وبكثرة اتصالاتي وأن سفري لم يكن إلا لأجلك وأن إقامتي أسبوعاً فقط وها قد انقضى منها النصف.

إذا نظرت إليها رأيت شخصاً من أطيب خلق الله وأرقّهم قلباً. لكن إذا تذكرت تعنيفها الدائم لي أرى شخصاً متعجرفاً.

لم أكن أريد أن أضجرها بكثرة العتاب فقلت:

ـ ضعي لي برنامجاً.

ـ أوكي.

ـ الآن.

ـ أوكي.

ـ كلّي آذان صاغية كيف سيكون برنامجي معك.

كانت أثناءه تتصل بشخص:

ـ أبو سمير بكرة بدهم ياك على إداش...راح مر آخدك.

قلت مازحة:

ـ إن شاالله يا ربي لا يفي بوعده معك وتمر الحادية عشرة ولا يأتي وإذا مررت لن تجديه حتى تحسين بما أحسست.

تضحك:

ـ وين المشكلة أختي بدها ياه يعني هي بحاجتو مو أنا.

ثم تتصل بصديقة لها بلبنان:

ـ كان بدي المرجع اللي حكيتلك عنو لمرت أخي...

ـ.......

ـ كيفو التلج عندكن؟

نمرة الغامضة الشخصية كنت أعلم أنها واسعة الحيلة لكن.... تستمر في اتصالاتها...

كلما أحاول ذكر أمر أخاف أن يقال عني متطفلة. ثم سألتني:

ـ شو بتشربي؟

ـ لا شيء.

ـ لأ.. مابيصير.

ثم طلبت من الخادمة عصير برتقال ولها قهوة قلت:

ـ ألم تقولي لي يوماً إنك لا تشربين القهوة.

إبتسمت كأنها تتفاجأ كيف أنني مازلت أتذكر ما ذكرته لي بالمِسَّج الأيام الأولى لتعارفنا.

ـ لازم أشرب شي بس مو قهوة هي نيس كافي.

ـ وما الفرق؟

ـ هيْ بالحليب.

ـ أي قهوة فقط التسمية مختلفة وأنا أيضاً لا أشرب إلا قهوة بالحليب.

سكتت وكأنها لا ترغب في الاعتراف أنها كذبت عليّ حتى في أبسط الأمور بالوقت الذي كنت أنا صريحة معها وصادقة بكل شيء.

استأنفت حديثي معها:

ـ كنت أتوقع أن يكون كلامي معك دون انقطاع.

ـ مانحنا عمنحكي ما سكتنا.

ـ ليس هكذا بل أكثر خاصة عنك وليس عن أحوال العالم.

ليلة الخميس كنت أتمنى أن يساعد لقائي بها على اختفاء الوجوم من وجهي المنقبض لم أكن أقدر على الابتسام وإضفاء البهجة في جلستنا. لم أكن أعلم أنني مرهفة الحس وأنني ضعيفة على أن أُلين طبعي وقتها؛ خاصة تلك الليلة فإحساسي بنفورها وتذكر تهربها تلك الأيام منذ وصولي آلمني كثيراً. كان الغضب بداخلي وعلى ملامحي لكن الحزن الذي كان يخالجه لم يكن يبدو وربما هذا أفضل حتى لا تظن أنني أستدرّ عطفها أو شفقتها.

كان ببيتها شجرة الميلاد فسألتني:

ـ شو رأيك حلوة؟

ـ لا أعلم فلأول مرة أرى شجرة الميلاد. كنت أراها بالأفلام فقط.

ـ هاي مشان بنت أخي.

لم أفهم ما العلاقة لكن....

أحسست أنه كانت لديها مشكلة بإيجاد المواضيع

لتجاذب الحديث ولو أعطتني فرصة ما كنت لأصمت، ولكن حقيقة صُدمت وانزعجت كثيراً منذ وصولي من عدم حضورها بعد كل موعد حتى وإن كانت متعوِّدة هي على ذلك، فالوضع معي مختلف وهي ترفض الإحساس بذلك، كنت أقول بداخلي ربما الطريقة التي أعتمدها في الحديث معها ليست مناسبة ولكن ليس سهلاً عليّ.

قالت:

ـ إشربي... عيب لازم تشربي.

عدم شرب العصير المقدم عيب لكن وعد الناس مراراً دون اعتذار ليس عيباً. في الحقيقة لم أكن أعلم أن العصير طبيعي وإلا لكنت شربته منذ وضعته الخادمة؛ لأنني لا أشرب ما ليس طبيعياً لما يسببه لي من آلام.

عندما اقتربت كي أفعل الشيء الذي كنت أنويه منذ سفري قالت مبتسمة:

ـ بدك تضربيني؟

ـ لا.

وحضنتها بقوة لشدة شوقي... استغربت كيف يخطر ببالها أنني سأقدر على مد يدي للضرب ولو مزحاً.. أي قلب لي كي أفعل ذلك. أحسستها نفرت مني فأحجمت،

وبقي بذلك الشوق مكبوتاً بداخلي، هي تتحدث وأنا أقول ليتني أستطيع أن أحضنها مجدداً. ثم قالت:

ـ أنت خجلانة.

ـ لا.

لكن أظنها لم تكن تفرق بين الخجل والغضب الذي أفسد عليّ أيام سفري معها وعلى قدر المعزة يكون العتاب.

لم أحس أن جلستي كانت طويلة لكن كان عليّ الاستئذان لأنني لم أكن أعرف إن كان قد تأخر الوقت أم لا. فقالت:

ـ راح وصّلك بالسيارة.

قلت مازحة:

ـ طبعاً لست تتوقعين أنني سأركب معك السيارة فأنت دائمة الحوادث.

ـ راح أزعل منك هه.

وانصرفت لتبديل ملابسها فعادت جذابة الطلعة فبدت لي امرأة؛ ذلك أنها من قبل كانت تبدو أصغر سناً عن سنها الحقيقي كنت أحسها طفلة وامرأة في آنٍ واحد وطبعاً أحب فيها الإثنين.

خرجنا بعدها وكانت ترافقنا قريبتها فقد قالت إنها لا تذهب إلى أي مكان إلا برفقة أحد ولم أفهم منها السبب.

كانت خطاهما أسرع مني وقد أزعجني ذلك ففكرت لحظتها في أن أستقل سيارة تاكسي لكن أنا من أحتاج إليها وإن ذهبت قد لن أراها أبداً.

ركبنا واستغربت عندما وجدتها تشتم عامّة الناس المارة ومن يستقلون سياراتهم:

ـ السيارة حلوة بس اللي فيها حمار.

رجل يمضي في حال سبيله وهي تتحدث عنه كأنها أعلى من الكل ثم ترى سعودياً فتقول:

ـ أديش بكره السعوديين.

ثم تعلّق على سيارة أخرى لأردنيين، فتساءلت أتكره الكل؟ لكن ربما كان عليّ موافقتها في كل هذه السلبيات كي تعزّني بقدر معزة قريبتها التي تجاريها في كل ذلك.

شدة غضبي جعلتني أتعمد أن أعاكسها في كل ما تقول ففهمت هي ذلك أنه ثقل دم، فهي كالعادة تفهم الأشياء معكوسة. قبل وصولنا الفندق تمنيت لو طالت الطريق، فبرغم عدم ترحيبها بي إلا أنني أتمنى قضاء أطول وقت معها.

كان في صالون الفندق عازف يعزف لكل أحد يجلس وإذا غادر يتوقف وقد كانت هي تقول إنها لا تحيا بدون موسيقى ففكرت عند إيصالها لي أن أطلب منها النزول والجلوس قليلاً كي أطلب من العازف المقطوعة التي تحبها لكنني تراجعت مخافة أن تحرجني أكثر.

عندما دخلت إلى غرفتي جلست أتحدث وحدي:

ـ ونحن في الطريق قالت غداً لديها تسوق ثم ستذهب للكوافير يا ربّي ألديها الوقت لكل شيء إلا لي.

في صباح يوم الجمعة ذهبت إلى سوق الحميدية السوق الذي كنت أسمع عنه كلما تحدّثوا عن سوريا بالبرامج السياحية فوجدته مغلقاً ثم وجدتني أتوه كي ألقى نفسي أمام المِسَّجد الأموي الذي كنت أرغب حقاً برؤيته منذ يوم وصولي فقلت:

ـ جميل أن يتيه الإنسان كي يحظى بزيارة أماكن تأمّلها.

كانت ساحته جميلة وطريقة بنائه أجمل، أحب كثيراً المباني العتيقة. ثم أخذت تاكسي إلى المحلات الوحيدة التي كانت يومها مفتوحة وعند عودتي ضعت من جديد ودخلت ساحة واسعة فارغة كانت ساحة الشام القديمة؛ يا

الله كم هو جميل التواجد بهذه الساحات، شرعت أمشي فيها وحدي وأنا أتمنى وجود نمرة معي في هذه اللحظات كم كان سيحمل المكان معنى آخر.

لم أتصل ولم أذهب إليها لأنني خجلت من إضجارها بزياراتي الدائمة لكن يوم السبت تغلبت على خجلي وقلت هي تعلم أنني لم أسافر إلا للقائها وأيامي قليلة، كنت أرجو أن تأتي هي حتى يزول إحراجي؛ لكن واضح أنه لو لم أتصل ما كانت لتسأل.

مساء السبت اتصلت بها كي أسأل إن كانت بالبيت فردت بطريقة قاسية وأغلقت الخط لم أفهم فأعدت الاتصال فقالت بتعجرف:

ـ بعد الألو في كلام.

ـ أريد أن ألتقي بك اليوم.

ـ بعد ثلاث ساعات راح كون بالبيت.

فأعدّ الثواني إلى أن انتهت الثانية الثماني مائة بعد العشرة آلاف، وكنت عند الموعد المضبوط.

فتحت والدتها الباب:

ـ نمرة موجودة؟

ـ لا لكن نحنا أهلها تفضلي.

دخلت وأنا مترددة أيعقل أن لا تكون هنا مثلما وعدت!!؟؟

عند دخولي رأيت أختها لأول مرة وكانت تتحدث مع زوجة أخيها المسافرة تلك الليلة. كان رد فعل أختها هو نفسه رد فعل قريبتها اليوم الأول، من خلال أسئلة أمّها علمت أن نمرة لم تخبرها عني وسألتني:

ـ لكان أنتي جيتي من قبل والتقيتي فيها؟

ـ نعم.

كنت كل مرة أحاول الحديث فيها أخشى أن تبدو على ملامحي أو نبرة صوتي الغضب أكثر، فلا أظن أن هناك أحداً يعلم ما كانت تفعله نمرة بي منذ دخلت الشام، وعندما أقرر الرحيل تقول والدتها:

ـ استني راح تجي.

وفي تلك اللحظة أسمع طرقاً على الباب فتفتح الخادمة. وتدخل السيدة المحترمة وتتفاجأ برؤيتي كأنها نسيت أنني موجودة بسوريا فأحس بغربة أكثر لكن لا ينبغي أن يبدو ذلك عليّ.

تبقى نمرة تتحرك من مكان إلى آخر ثم تعود لتدخل الصالون وتنظر إليّ وتقول:

ـ وعابسة كمان.

أحاول أن أبتسم لكن لا جدوى. ثم أقف لأغادر فتقول:

ـ عدي.

فأعود لأجلس وتسألني أمّها:

ـ من وين أنت؟

ـ من الجزائر.

ـ أديش عمرك ومتزوجة؟

فتجيب نمرة عني كأنها كانت تنتظر أن يكون لي حديث مع أي أحد كي تشارك به لأنها لم تكن تجد كلاماً بيننا، وطبعاً لم تقدمني نمرة لأمّها وأختها كالمعتاد؛ وتساءلت لكن يبدو أن التساؤلات كثرت.

بعدها جلسنا بالشرفة قليلاً وعند خروجي قالت:

ـ هاي غرفتي.

فرحت أنني أخيراً رأيتها لأنني سألتها عنها من قبل أثناء المساجات ولم تكن تجيب، رغبت في القول:

ـ أخيراً هاأنا أقترب من حاجياتك الخاصة.

لكن لا أعلم لما لم أفعل. أذكر يوم وصولي كانت لديّ لهفة تُوزع على بلد لرؤية كل أشيائها الخاصة بها

لكن أثناء تواجدي بالغرفة كنت أحسّ أن الوقت يمر بسرعة وأنا غير قادرة على فعل أي شيء.

كانت خزانتها بيضاء مثل خزانتي؛ كنت أتوق لفتحها لكن مادامت هي مازالت تعتبرني غريبة فليس بوسعي إلا احترام شعورها. ثم قالت:

ـ بطريقنا راح نمر نشتري حلويات مشان مرت أخي.

خرجنا وكالعادة تسبق هي وقريبتها ركضاً؛ أحاول الضغط على رجلي والسرعة.. لا أقدر فأمشي بروية.

أوصلتني، فأنزل ثم أتذكر وأعود فتفتح نافذة السيارة:

ـ متى ألتقي بك؟ لم تضعي لي برنامجاً.

ـ تليفون.

أعود أدراجي وأنا أحدث نفسي:

ـ مادمت أعرف إجابتها فلما أسأل؟

ذلك أنني كنت أعلم أنها ستقول اتصلي بالتليفون وفور دخولي غرفتي نمت.

كنت قد اعتزمت على أن أمضي الساعات الأولى من هذا اليوم الشتوي الجميل في مسرح بصرى الأثري، فيكفيني ركضاً وراء نمرة دون جدوى؛ ضاعت كل أيام الأسبوع هدراً.

كان يوم الأحد لطيفاً ومميزاً برؤيتي لهذا المكان، فقد كان المدخل ذا منظر أقل ما يقال عنه رائع ثم دخلت كي أمضي فيه أكثر من ساعة؛ وهو الزمن الذي لم أحسّ به إلّا عندما قال صاحب السيارة الذي كان ينتظرني في الخارج وقام بتقطيب حاجبيه:

ـ فكرتك ماراح تطلعي.

ـ لقد أسرعت.

ـ قضيتي أكثر من ساعة.

ـ أكثر من ساعة؟

ثم نظرت إلى ساعتي فوجدته صادقاً.

ـ لقد كنت أختصر للدليل السياحي الكثير من كلامه فقد اعتقد أنني دارسة تاريخ فهو يقول إنه لا يهتم بالآثار عادة إلا الأجانب ومن العرب دارسو التاريخ والآثار.

ـ أنا كمان استغربت مدى اهتمامك بهالمسرح.

ثم تجولت ببعض الأماكن الأخرى الموجودة ببصرى، وقلت بعدها:

ـ دعنا نعد فقد تعبت.

فرح السائق بعودتنا لأنه كان يبدو عليه التعب هو

الآخر فلم يخطر ببالي أن أكون قد تأخرت بالمسرح إلى هذا الحد. وقلت له:

ـ أتعلم أن بطارية الموبايل نفذت فلم أصور بالكاميرا فيديو أي شيء وآلة التصوير هي الأخرى بطاريتها نفذت.

فاكتفى بالتجهد والتنهد ثم استأنفت:

ـ لكنني قضيت وقتاً ممتعاً.

ـ يسرني سماع ذلك.

قالها بالفصحى هذا لأنه أحيانا لا يتحدث بالسوري.

قلت بداخلي إن هذه الرحلة كانت تستحق قطع كل هذه المسافة فقد رأيت الوجه الآخر لسوريا فالأوقات الصعبة التي عشتها برفقة نمرة جعلت نظرتي ضيقة للبلد، اليوم اتسعت فحقاً تغيير الجو مثلما يقال يغير الأفكار ويروح عن النفس.

بعد أكثر من خمس ساعات عدت إلى الفندق ثم بعد قليل خرجت واتصلت بسبب سفري فلم تكن ترد فقررت المجازفة والذهاب دون موعد. كنت أعلم أن ذلك اليوم هو يوم سفر زوجة أخيها ولكن سفرها على الرابعة صباحاً ونحن الآن السادسة مساءً.

ضغطت على الجرس ففتحت الخادمة وتكلمت بلغة

لا تشبه الإنكليزي الذي تعلمناه في المدارس فقلت ربما تقصد أنها غير موجودة، خرجت وأنا أبحث عن تليفون لأن بطاقة موبايلي نفذت، ثم قررت العودة وفتحت الباب هذه المرة وقالت بالإنكليزي أيضاً:

ـ أتريدين الدخول؟

قلت هذا لطيف إنها تسمح لي بالانتظار بالبيت، فسألتها:

ـ أليس لديكم تليفون تتصلي بها؟

ـ لا.

ثم ذهبت إلى أشغالها وأنا أنتظر إذ أفاجأ بسماع باب يفتح فخفت هل يوجد أحد غير الخادمة بالبيت، إذ بي أرى نمرة تستيقظ من نومها، ابتسمت متفاجئة برؤيتي قلت:

ـ لم أكن أعلم أنك هنا.

إقتربت مسلمة ثم قالت إن موبايلها صامت فقد ذهبت في الصباح للعمل ونامت بعدها مباشرة. فعلمت أنني لا أفقه في الإنكليزي شيئاً فقد تكون الخادمة قالت إنها نائمة!!!.

كم كان شكلها لطيفاً وهي تستيقظ.. تبدو طفلة بريئة

وطيبة علماً أن نمرة مستحيل أن تكون معي طيبة وبريئة فقد كنت أعلم دوماً أن لا أحد يضاهيها في الخبث والمكر متى شاءت فكان مجرد شكل لأن كتلة اللؤم التي بداخلها سهل أن أتذكرها خاصة منذ وصولي حتى قبل أن تراني وبعد أن التقتني.

ـ نشرب قهوة حتى نصحصح.

ـ صحصحي لوحدك فأنا مصحصحة أنا لا أشرب قهوة.

ابتسمت وقالت:

ـ راح غسل مشان...

و أشارت إلى وجهها.

قلت:

ـ نعم.

كنت أنا أعلم أنها ستتصل بقريبتها للمجيئ فهي تخاف البقاء وحدها معي، وغابت عن أنظاري إلى أن دخلت قريبتها ومعها أخوها. تضايقت كثيراً لأنني لم أكن أستطع استيعاب تصرفاتها هذه فأنا أريد الجلوس معها وهي كل مرة تأتيني بشخص جديد فكانت الجلسة هذه المرة أقصر الجلسات، لاحظت أن كل ما كنت أقوله لها

تكرره لهما ثم تحمل الموبايل ولا تكف عن الاتصال بزوجة أخيها كي تعرف إن كانت قد وصلت بخير وفجأة سمعنا طرقاً على الباب فقفزت من مكانها قائلة:

ـ هاد أخي بعرف دقاتو.

دخل أخوها، كان يبدو منشغلاً لذا طلب منها الإسراع بإعطائه حقنة فقمت أنا أستأذن للمغادرة فقالت:

ـ استني راح أعطيه بس حقنة.

لكنني كنت أود الخروج قبل دخوله وكنت أعلم أنها ليلة مكتظة ثم قالت:

ـ متل ما بدك.

عند خروجي قلت:

ـ غداً اليوم الأخير يجب أن أراك.

ـ أوكي.

ـ تأتين؟ لأنني سأذهب إلى المطار على الواحدة.

ـ منتصف النهار.

ـ لا ينفع.

وبصعوبة إلى أن أقنعتها أو هذا ما أوهمتني به:

ـ على الحادية عشرة موعدنا.

ـ أوكي.

كنت أرغب في أن نلتقي السابعة أو الثامنة صباحاً فلم أشعر أنني قضيت معها وقتاً كافياً، لكن الحادية عشرة أحسن من منتصف النهار، تأمّلت خيراً فربما لأنه اليوم الأخير ستفي بوعدها.. وتأتي الحادية عشرة مثلما اتفقنا ويمر الوقت سُدى... وضعت يدي على خدي: ـ صحيح هي قالت قبل خروجي من عندها " خدي مني وكبي " فابتسمت وقتها لغبائي لكنها كانت تعني ما تقول أي أنه لا تثقي أبدا بأقوالي... يا للسخافة لم ولن أراها، فتذكرت وقتها أول يوم كيف كنت أكرر ضعي لي برنامجاً في هذه الأيام الأربعة تقول سأفعل وطبعاً لا تفعل فكذلك البارحة كررت لها: "ستأتي؟" فقالت "أكيد"...

وخرجت أجر قدميّ حسرة وأسفاً كي أتصل بها:

ـ ألن تأتي؟

ـ سيارتي عطلانة تعي أنت.

أشرت بسرعة إلى أول سيارة تاكسي رأيتها وقلت:

ـ بسرعة من فضلك.

كانت قد تجاوزت الحادية عشرة.

الحمد لله أنني قمت بحزم حقيبتي قبل الموعد بساعتين ثم اتصلت بالمكتب السياحي للتذكير بموعد

سفري فمثلما نستني صديقتي العزيزة قد ينساني هذا المكتب أيضاً. ودفعت فواتيري برغم طلبهم تأجيل ذلك إلى حين خروجي فقلت بل سأخرج الآن ولن أعود إلا على الواحدة فلن يكون لدي الوقت الكافي للدفع، بهذا كنت قد ارتحت من كل التزاماتي وفور عودتي من عندها سأتجه مباشرة إلى المطار.

عندما دق الجرس فتحت هي الباب وقالت:

ـ بهالسرعة!!.

فدخلت لأتفاجأ بوجود قريبها فقلت وأنا مازلت عند الباب:

ـ لا أرغب بمجالسة الرجال إنّه يومي الأخير.

ـ لحظة.

نادته إلى غرفتها ولا أعلم ما دار بينهما من حديث ثم رأيته يخرج. بعدها وقفت على حافة الكرسي فاتحة النافذة كي تصفر للخادمة بأن تدخل، ضحكت:

ـ وتصفرين!!.

ـ أنا إنسان شو؟

و بعد لحظات فتحت الباب للخادمة التي كانت بالخارج، استغربت كيف أنّها تَأمن الجلوس مع رجل

غريب في بيت مغلق حتى وإن كان قريبها وهي التي كانت دوماً تكتب لي أنها لا تثق بالرجال بأي حال من الأحوال؛ وجلست:

ـ حتى آخر موعد لا تفي به؟

ـ تعطلت سيارتي.

ـ والتاكسي؟

ـ بعرف أن الطريق زحمة ما راح يكون في وقت.

ـ كيف أتيت أنا إذن؟ ثم وأنا أنتظر عادي؟

ـ ونحنا صغار كانت إذا عملت مدرستنا احتفال آخر السنة كنت أنا بؤول لأختي روحي أنت هلّا وأنا راح روح للكوافير وبعدين أجي بس بعدين ما بروح. أنا هيك.

ـ آه فهمت.

إبتسمت ثم قالت:

ـ هاد عيبي الوحيد أني بوعد وما بوفي والكل بيعرف مشان ما يزعلوا مني.

ـ أما أنا فلا.. فالموعد عندي مقدس خاصة إذا كان دون اتصال واعتذار... ثم من قال إنه عيبك الوحيد.

إبتسَمت. قلت بعدها:

ـ غريب المرة الوحيدة التي أجلس فيها معك وحدي أين قريبتك؟

ـ هلّا بتجي أخوها راح يوصلها.

ـ الآن الأمر طبيعي لأنه من غير الطبيعي أن تقبلي جلوسك وحدك معي.

إبتسمت دون أن توضح لي ما كنت أريده... أي لما تخشين الجلوس معي وحدك خاصة وأنك تعرفينني من سنتين؟

لم يكن كبرياؤها يسمح لها بأن تعتذر أو أن تقول إنها مخطئة لذلك تسرع بتغيير الموضوع:

ـ مادفعت الفواتير راح أتصل بجارنا لحتى أعطيه المصاري والفاتورة.

فتقترب اتجاهي وتقول:

ـ أنت آعدة بمكاني أنا ما فيني آعد غير هون.

قلت مازحة:

ـ لن أتركه.

ـ شو قوية... أتصل وأنا واقفة؟

ـ لا يهمني.

فاتصلت بجارتهم للاستئذان في الدفع بالنيابة عنها وأرسلت المال مع الخادمة.

ثم طلبت رقمها الثابت فكتبته بورقة صغيرة وضعتها بجيبي فما كنت أعتبر الموبايل وسيلة اتصال جيدة. . . وسمعنا طرقاً على الباب كي تدخل من بعده قريبتها.

أحببت ذلك اليوم جلستي معها؛ ربما لأنني بدأت أتعود، فحتى قريبتها بدأت أحس أنها مألوفة لديّ. استمرت نمرة في الحركة قياماً وقعوداً كعادتها إلى أن قلت:

ـ إنه الوقت يجب أن أذهب لم أكن أرغب في أن تأتي الواحدة لكنها أتت.

ـ شو رأيك تضيعي طيارتك.

ـ ما في مشكلة أحجز من جديد.

ـ وهاد اللي بدي ياه.

كانت تتحدث وهي تضفر بعضاً من شعرها الذهبي وقد أضفت تلك الضفيرة جمالاً زائداً عليها فقلت:

ـ سآخذ لك صورة بالموبايل.

ـ لأ مو هيك أنا مومساوية شعري.

توقفت. فقالت:

ـ لك ما عندك روح الدعابة نهائياً.

إبتسمت أنا وربما يكون قد بدا على وجهي بعض التقطيب الذي ما كانت هي لتتحمله لكنني كنت دوماً

أتشمم مجلساً معها دون تكدير وإن كانت روح الدعابة تختفي دون إرادتي فليس بيدي فعل شيء.

كانت بالنسبة لي صديقة لم ألتق بها منذ فترة وأنا بالنسبة لها شخص غريب تلتقيه لأول مرة وهذا الذي كان يغيب عني دوماً.

عندما تكثر على الإنسان الهموم والتعطيل بكل أمور حياته تتراكم الملامح الثقيلة الدم بنفسه فتبدو على وجهه لكل ناظر، يحاول هو إزالتها أو على الأقل إخفاءها لكن لا مجال، محبتي لها تجعلني ألتمس لها العذر في كل ما ألاحظه فيها لكن لم يكن لديها هي ما يجعلها تلتمس لي العذر لذا بدوت بدون روح دعابة وبدون روح مرحة.

تذكرت هنا عندما دخلت وكنت أحمل قطعة شوكولا وضعتها بيدها عند عتبة الباب فابتسمت وقالت:

ـ أنت عطيتيني هيْ وشوفي أنا شو راح أعطيك.

فأخرجت طبق شوكولا كانت تخفيه وراء آلة الرياضة التي تضعها بالصالون فتعجبت أهذه مقابل تلك؟؟!! نحن نقدم هذه الحلويات لضيوفنا الأغراب فور دخولهم فما بالك لأصدقاء؛ خاصة لشخص مثلاً يسافر لأجلي من بعيد لأول مرة ألتقيه... معقول أن تكون بخيلة!! فكانت هذه صفة أخرى أكسبتها إياها بعد صفات عديدة ما كنت

لأعرفها لولا سفري. لم تكن إذن بخيلة في المشاعر فقط بل وحتى في أبسط الأمور المادية وفي كرم الضيافة.

وقفت عند الباب فسلمت عليها ثم حضنتها وأنا أتمنى توقّف الزمن. سلمت على قريبتها وقلت مع السلامة قالت:

ـ تعي بالصيف.

ـ لا أحب الصيف، الشتاء أحسن.

كانت الواحدة؛ خرجت أسرع إلى الفندق لأن موعد السيارة بلغ وقد تجاوزته بدقائق وعند وصولي ركضت مباشرة إلى غرفتي وقام عامل الفندق بمرافقتي في حمل الحقيبة إلى أن وصل إلى الباب فسلمها إلى آخر كي يضعها في السيارة.

ركبت دون أن ألتفت لأي شيء وإلى ماذا يمكنني أن ألتفت؟؟ قامت السيارة من باب الفندق محملة بحقيبتي ومشاعر الأسف والحسرة والشوق المشتعل الذي لم ينطفئ إلى حين عودتي إلى بلدي.

دخلتك يا شام وأنا كلي شوق ولهفة وخرجت منك ومازال بداخلي نفس الشوق واللهفة.

الـعـودة

إنتظرت في المطار طويلاً لأن الطائرة تأخرت عن الموعد ساعة أخرى. كان الكل من حولي يتحدث عن توفيقه في هذه الرحلة وأنا ألتزم الصمت ثم قالت إحداهن:

ـ تبدين منزعجة ألمْ تكن رحلتك موفقة؟ أليست الأسعار جيدة؟

ـ لست تاجرة.

ـ معقول؟!! جميعنا تجار إذن أنت سورية وتتحدثين جزائري؟

ـ لا لكنني لم آت للتجارة.

لم أكن أسمع أصواتهم إلا بعيدة وأنا مازلت حائرة لما عاملتني نمرة هكذا. كان يسرني كثيراً أن تصطحبني إلى أي مكان؛ لا يهم أين. المهم هو أن أكون معها.. كان يسرني أن ترحب بي وتفرح بتقديمي لعائلتها لا كأنني

غير موجودة. . كان يسرني أن تحس بأن لي كياناً وتتوقف عن تعنيفي على الأقل أثناء الرحلة هذه. . كان يسرني أن تحترم مواعيدها معي أو على الأقل تتصل لتفهمني الوضع. . كان يسرني أن أحس أنني لست عدماً لا يُلتفت له فهكذا كانت هي معي تلك الأيام. . كان يسرني أن أتواجد معها صح فقد تواجدت في المكان الخطأ في الوقت الخطأ. . كان يسرني. . . . .

ـ أسدي لي خدمة.

قطعت عني السيدة حبل أفكاري بقولها هذا فقلت:

ـ ماذا؟

ـ إحملي معي هذه فليس لديك شيء غير حقيبة اليد.

مسكت كيسها وعدت إلى حديث النفس أخالني لن أراها مرة أخرى. . ثم غيرت جلستي وكأنني أحاول نفض هذا التفكير عني. . . يجب أن لا أدع الأمر يشغل بالي أكثر فأنا عنيفة مع نفسي بهذا التخمين ثم قلت بصوت عالٍ دون شعور مني جحيم العلاقات الشخصية فقالت تلك السيدة:

ـ ماذا؟ صحيح التجارة جحيم فأنا حقاً متعبة. . ماذا اشتريت أنت؟

ـ لا شيء.

ـ ولا حتى ذهب؟

ـ لا.

عدت لتفكيري: أردتها أن تتركني أنا أبتعد مثلما أنا اقتربت وكأنني سحرت بها..

ـ يا الله دعونا نذهب.

قالت السيدة ووقف الجميع.

وصلت الطائرة. ركبت شاردة الذهن، ومازال حديث النفس مستمراً:

ـ ما الذي كان يدفعها عني.. راجعت الأمر مليون مرة لكن... لا يمكن لإنسان أن يغير مشاعر إنسان آخر إلا إن شاء الخالق.

فور نزولي من الطائرة اتصلت أختي فقلت:

ـ اصبري مازلنا بالحافلة التي ستدخلنا إلى صالة المطار.

قالت:

ـ هل أنت بخير؟

ـ أجل.

طأطأت رأسي: هل كنت حقاً بأحسن حال؟ لا أظن.

ـ كانت الشام حلوة؟ رجل ذو شاربين ملفتين للنظر يسألني.

ـ الشام؟ مليحة... سوري؟

ـ لا.

ـ إذن جزائري تاجر.

ـ لا.

ـ غريب فالكل هنا تجار.

إبتسم وقال:

ـ أنا طبيب قادم من كينيا. وبسوريا غيرت الطائرة.

ـ وأخيراً في شخص غير تاجر.

استمرت ابتسامته إلى أن وصلنا ودخلنا.

عند اقترابي من باب المطار للخروج وجدت رجل أمن يسألني:

ـ معك ذهب؟

ـ لا.

ـ لا.. معك...

ـ قلت لك لا.

ـ متأكدة؟

نظرت إليه مستغربة لكن فيما بعد فهمت فأنا لم أكن

أحمل حقائب كثيرة ككل الناس فقط حقيبة أجرها ورائي فاعتقد أنني تاجرة ذهب.

فور خروجي رأيت أخي؛ فرحت كثيراً وكان أول سؤاله ضاحكاً:

ـ وأخيراً التقيت صديقتك كيف كانت؟

ـ إنها بخير.. كيف أنت؟

و أخذ عني الحقيبة وهو لا يكف عن السؤال:

ـ أخبريني هل وفقت في رحلتك؟ هل كانت فرحتها بك كفرحتك وأنت تتحدثين عنها يوم رحيلك ونحن في طريقنا إلى المطار؟؟ و... و..

عند وصولنا البيت كان الكل نائماً. لحظتها تذكرت أمّي التي ما كانت لتنام إلى أن تطمئن عليّ بل ما كانت لتسمح لي بالسفر وحدي مهما كانت الظروف.

نمت مباشرة وفي الصباح توجهت فور استيقاظي للبحث عن الرقم الذي أعطتني إياه نمرة ووضعته بجيبي فلم أجده فتذكرت عندما كنت في الطائرة أخرجت المنديل وربما وقعت معه تلك الورقة الصغيرة فاتصلت بها أقول:

ـ أرسلي لي الرقم لقد ضاع مني.

ـ ليلى حمد لله عالسلامة بس أنا مريضة وما بدي أحكي مع حدا.

ـ سلامتك.

وأغلقت الخط.

نزلت للإفطار فقال أبي:

ـ أهلاً بالمسافرة.

لكن الحمد لله لم يسألني هو شيئاً. ثم اتصلت أختي:

ـ كيف أنت؟

ـ بخير.. سآتي إليك فأنا الأصغر.

عند وصولي ضحك الكل وتركوا كل أشغالهم قائلين:

ـ كيفك؟ ايش لونك؟

ابتسمت وقلت:

ـ رحلة جميلة.

قالت ابنة أختي:

ـ ياالله احكي كيف كانت نمرة؟ كانت تعلم بسفرك أم أنها تفاجأت مثلنا؟

وأسئلة كثيرة أخرى، ثم قالت أختي:

ـ هل كان طبخهم بالبيت كالذي نراه بالمسلسلات؟

ـ لا أعلم.

ـ ألم تحضر لك غداءً أو عشاءً؟

ـ لا.

ـ ربما عادة عائلتهم هكذا.

ـ ربما.

قالت ابنة أختي:

ـ ألم تتصل اليوم صباحا لتطمئن عليك؟

ـ لا.

لم تكن نمرة ممّن تتصل بمن هي مثلي لأنني لست من مقامها، ففي سوريا مكالمة محلية ولم تفعلها فكيف بمكالمة دولية طبعاً مستحيل. لم أشأ أن أذكر لهم كيف عاملتني لكن فيما بعد قلت:

ـ وأنا في بلدها لم تكلف خاطرها بأي شيء يخصني فكيف ستتذكرني بعد رحيلي.

قالت ابنة أختي:

ـ آسفة لست أفهم ألستم أصحاب؟

ـ وأنا أيضاً منذ وصولي إلى هناك.. إلى الآن وأنا لا أفهم.

* * *

بعد أيام لم أستطع منع نفسي عن سؤالها لما عاملتني هكذا فكتبت لها إيميل قصيراً فقالت:

- أنا آسفة بس الحمد لله شفت بعينك سبب انشغالي.

لم يكن هذا الرد يشرح شيئاً فكتبت إيميل آخر كمجرد تأنيب لطيف أحكي الأيام التي قضيتها هناك وعن مشاعري التي لم تتح لي الفرصة لإيضاحها، ظننتها فكرة سديدة لكن كان حريّاً بي أن لا أفعل، فلن أقول توترت علاقتنا لا بل انقطعت، فقد ردت بأنها لا تريد معرفتي بعد اليوم دون مناقشة موضوعية ولا حتى السماح لي بالتوضيح. عرفت للتو أن كلما أكون صريحة معها أكثر كلما ازداد الوضع بيننا سوءاً؛ واستهلكت كل قواي أحاول فهم سبب تجهمها لكن رفضت الرد عليّ؛ إلى اليوم الذي رد فيه صوت رجل يقول إنه أخوها وإنها تزوجت ابن خالتها بعد قصة حب دامت شهرين في السر وذهبت إلى السعودية لمدة شهر ونصف. لم أصدق بادئ الأمر لأن المتحدث لم يكن جيداً في الكذب فأحياناً يقول أنا أخوها ثم يقول أنا ابن خالتها فأخبره أنه عليّ الحديث معها وأريد أن أستوضح شيئاً يخصنا فيقول ليست هنا. أظل أتصل بالإيميلات والمساجات والاتصالات التي لا يرد عليها إلا نفس الرجل الذي جعلني أستغرب هل ابن

خالتها هذا دوماً معها أليس لديه عمل!!!؟ لم أكن أريد أن نتشاجر ولا أن نختلف لكنها تأخذ دوماً الأمور بحساسية غريبة، ماعساي القول فأنا مازلت إلى حد الآن لا أفهم سبب حدة الغضب التي واجهتني بها إثر ذلك الإيميل.

كان عليها دوماً أن تقرأ كتاباتي بعناية فالخطأ الناتج عن التسرع كان يجعلها تفهم الفهم الخطأ.

لم نتصادق ولا لفترة وجيزة فمنذ تعرفت إليها عن طريق ذلك البرنامج والجو الرديء بيننا وكل مرة أقول ستهدأ لكنها لا تفعل، لقد خذلتني نمرة كثيراً لم أتفق أبداً معها. ثم ردت مرة وحيدة فعلمت أنها على استعداد للتمادي أكثر في إهاناتها فقررت الابتعاد بشكل نهائي. لكن لا أعلم ما الذي يمنعني وأصبحت حياتي جحيماً لا يوصف. تسببت في نفاذ كل قواي ولم أجد سبيلاً لإسكات ذلك الصوت الذي يدفعني إليها دفعاً رغم اشمئزازها مني مثلما ذكرت في آخر مرة، صوتاً يقول أنت نكرة بدونها. فكتبت أتوسل إليها مسامحتي إن كنت أخطأت بإرسال تلك الرسالة الإلكترونية وكتبت:

ـ إنسي الضغائن فلنتصافح وننسى.

لكن لا ترد.. أهملت عملي في المشروع الذي اتفقت عليه مع أخي وزاد توتر أعصابي وأنا لا أقدر على التركيز ثم أصبحت أغضب من الكل أكثر وأنا أثناء ذلك أترجى أن نتصالح لكن....

الشـــفـــاء

بعد أيام قليلة وجدتني أحس بضعف ثم أفقد الوعي كل حين فطلبت الرقية بنفسي من أخي.

بعد يومين من الرقية قال:

ـ آخر مرة غبت عن الوعي أصبحت تقولين كلاماً لم نستطع فقه فحواه إلى أن أتينا بهذا الراقي. لقد تمت رقيتك وسأحكي لك ما كان.

فعلمت أنه كان هناك جنّي يلبسني وقد عشق نمرة عندما تعرفت إليها لذا كنت أحس بأحاسيس مضطربة؛ قسم يعشقها وقسم بدأ ينفر منها لكثرة إهاناتها وكان هذا أنا. بعد شفائي وجدتني أحاول تذكرها كي أرى ماذا سأحس فكانت أحاسيسي طبيعية، حقيقة أعزها كأفضل صديقة ولكن ليس إلى درجة العشق والاتصال ليل نهار.. فقد كان إذن هذا هو السبب ولم يكن هوس مني. لقد

كانت الرقية دفعة صاروخية صغيرة جعلتني أعيد كل حساباتي.

ـ أمر غير متوقع.

ـ إهدئي وانسي الأمر فقد عولج كل شيء أثناء غيبوبتك.

ثم تساءلت بيني وبين نفسي:

ـ ألهذا كنت أحس أن هناك شيئاً يدفعني إليها بشدة؟ لكن ما الذي كان يدفعها عني؟!!

ثم قال أخي:

ـ مع كل نفس نأخذها تتغير حياتنا، الشيء الوحيد الذي نكافح من أجله هو الخير.

ـ لا أستطيع التصديق.

ـ سنكمل الرقية إلى أن نتأكد أنك شفيتِ تماماً.

ـ لا أريد.

ـ هل أوحى لك شيء في نبرتي أنه اقتراح؟

ففهمت أنه أمر وقلت:

ـ أكذب إن قلت إنني أدرك ما مررت به.

ثم لم أتفوه بشيء. قال أخي:

ـ هل ثمّة خطب؟

لم أجبه.

بعد أيام تحسنت حالتي الصحية أيضاً وزال توتري وشدة غضبي وزال الاحمرار الذي كان بعينيّ ووجهي، فوقفت وتقبلت الأمر.. أجل وإن كان لا يصدق.

بعد يومين قدم أخي فقال سأصطحبك في جولة إلى مكان، قلت:

ـ أعلم ما تحاول القيام به.

ـ أجل أريد التعويض المناسب لك كي تنسي كل ما مررت به... أتودين إجراء مكالمة؟

ـ لمن؟

ـ صديقتك السورية أنسى دوماً اسمها.

ـ نمرة؟ لا بل أنا أتضور جوعاً ولم يسبق لأحد أن دعاني إلى مطعم.

ـ إذن سأدعوك أنا.

ـ هل سأمرض من جديد؟

ـ أنت الآن بأحسن حال وقد كنت مذهلة بتجاوبك القوي مع العلاج.

ـ إن ذلك مخجل.. تصرفي مع نمرة.. مهلاً عرفت للتوِّ أنني لم أكن مسؤولة إذن عن كثرة الإزعاجات فلست ممّن يقيمون علاقات ضحلة غبية أليس كذلك؟

وجدت أخي ينظر إلي مبتسماً ثم قال مازحاً:

ـ سوف أوسعك ضرباً إن لم تكفي عن التفكير بما مضى.

ـ دعني أوضح لك التالي...

فقام من مكانه وهو يقول:

ـ لم تعد هناك دعوة.

بعد عودتي من الفسحة مع أخي جلست أتذكر كيف كنت أتصرف مع نمرة وكيف كانت مشاعري ملتهبة فأحسستني محمرة الوجنتين.

لقد كان حقا جِنًّا معتوهاً استغلّ معزتي الشديدة تجاهها كي يضيف لها بهاراته فتصبح عشقاً.

قررت الاعتذار فاتصلت لكن فور أن قلت:

ـ نمرة؟

ـ نعم.

و انقطع الخط... بعد لحظات وصلني مِسَّج من صديقتي يقول:

ـ عاودي الاتصال بي.

أحسست بالارتباك.. أنا بلهاء كيف كنت أتصرف معها بتلك الطريقة!! كنت أود معاودة الاتصال لكن... خجلت... ثم رنّ موبايلي كي أجدها هي تقول:

ـ ليش ما اتصلت؟ كيفك؟

ـ بخير.

و انطلقت مباشرة في الموضوع:

ـ نمرة أقدر لك تحملك لي كل هذه المدة حقاً أقدّر لك ذلك.

ـ كنت تطلبين دوماً مني أن نتصادق لفترة وجيزة وأنا أقول إن شاء الله سنتصادق للأبد أوكي؟

ـ تودين حقاً ذلك؟! أصغي إلي نمرة أريد...

ـ لا تكتري حكي معي أنا بدي ياكي تجي وراح عوض عنك السفرة الماضية.. إمتى تجي؟

ـ لا أظن فإمكانياتي المادية لا تسمح.

ـ بلى راح تجي أنا بعرف إذا بدك راح تجي.

كان أسلوبها تعنيفي دوماً وهاهي اليوم تتحدث معي بكل لطف بل وتترجاني معقول إلى هذا الحد شفيت!! لكن لازالت لا تترك لي مجالاً أبداً للكلام حتى بعد الشفاء.

يبدو أن ذلك الجن هو الذي كان مهووساً بها ولكن هل يعقل أن يؤثر بي إلى هذا الحد؟؟!!.

سافرت هذه المرة إلى سوريا بشخصية جميلة أخرى لا جسداً عليلاً يعيقني ولا عشقاً غريباً يوتر طريقة تواصلي

بنمرة وكان لقاء بأحسن حال فاقتربت منها ومسحت التراب بكفي عن وجنتيها وقلت:

ـ كان حرياً بك أن تصدقي ما كنت أحسه دوماً تجاهك كما أنه عندما كنت أقول إنّني لست مسؤولة عن بعض التصرفات فأنا حقاً كنت كذلك.

ـ لا ضير ولا أريد الخوض في هذا.

ولم يخطر ببالي أن أكتب لها مِسَّج من جديد.. لأن تواصلنا كان هاتفياً وبالرسائل الإلكترونية أكثر..

وأكتفي بهذا القدر من المساجات يا سيدتي...

المحتويات

أذكر أن البداية لم تكن جيدة فقد كانت متعبة من مشاكلها ولا ترغب في صداقة جديدة ؛ كانت تريد رجلاً مخلصاً وفياً يساعدها في الحياة ويدللها، فلم أكن سأنفعها بشيء لكن شدة إلحاحي جعلتها أخيراً تتواصل معي بالمساجات أي بالرسائل القصيرة عبر الخلوي .. كانت نمرة طالبة جامعية بالسنة النهائية أصغر مني بخمس سنوات؛ رائعة الجمال؛ كنت دوماً إذا رأيت نمرًا في أحد الأفلام الوثائقية يذكرني بها لأنها بالصورة كانت تبدو وكأنها تحمل نظرة بعينيها تشبه النمر لذا قررت أن أسميها نمرة.



ISBN 9953-71-195-X

